

رسالة بابويّة عامّة

لقد أحَبَّنا DILEXIT NOS

لقداسة البابا فرنسيس

في الحبّ الإنسانيّ والحبّ الإلهيّ في قلب يسوع المسيح

1. "لقد أحبّنا"، قال القديس بولس مشيرًا إلى المسيح (رومة 8، 37)، ولا شيء "يستطيع أن يفصلنا عن محبّته" (راجع رومة 8، 39). وأكّد بولس ذلك، لأنّ المسيح نفسه أكَّد لتلاميذه: "أنا أحبَبْتُكم" (يوحنّا 15، 9. 12). وقال لهم أيضًا: "قَد دَعَونُكم أُحِبّائي" (يوحنّا 15، 15). إنّ قلبه المنفتح "سبقنا وينتظرنا دون قيد أو شرط، دون أن يطلب منّا أيّ يسبقنا ويغيّنا ويقدِّم لنا صداقته: هو أحبّنا أولًا (راجع 1 يوحنّا 4، 10). وبيسوع "عَرَفْنا المحبّةَ الّتي يُظهِرُها اللهُ بَيننا وآمنّا" بهذه المحبّة (1 يوحنّا 4، 16).

الفصل الأوّل أهمّيّة القلب

2. نستخدم عادة رمز القلب للتعبير عن محبّة يسوع لنا. وقد يتساءل البعض هل هذا الكلام ما زال له معنى؟ مع أنّ السّطحيّة التي نعيش فيها، وعندما نعيش ولا نعرف لماذا نعيش في النّهاية، فنصير مستهلكين لا نشبع، وعبيدًا لسوق لا تهتمّ بمعنى وجودنا، كلّ ذلك يفرض علينا أن نستعيد أهمّيّة القلب. أ

ماذا نعني عندما نقول "القلب"؟

3. في اللغة اليونانية الكلاسيكية غير الدينية، لفظة "كارديا" (kardía) تشير إلى أعمق جزء في الكائنات البشرية، وفي الحيوانات والتباتات. في هوميروس لا تشير فقط إلى المركز الجسدي، بل أيضًا إلى التفس والمركز الروحي للإنسان. وفي "الإلياذة"، الفكر والعاطفة ينبعان من القلب، وهما قريبان جدًّا أحدها من الآخر. في يظهر القلب كمركز للرغبة

أفكار كثيرة من هذا الفصل مستلهمة من كتابات الكاهن اليسوعي دييغو فارس (Diego Fares S.I) غير منشورة. ليقبله الله في مجد قديسيه.

² راجع هوميروس، *الإلياذة*، 21، 441.

والمكان الذي تتكون فيه قرارات الشّخص المهمّة. عند أفلاطون، يأخذ القلب على نحو ما وظيفة "توليفيّة" فيجمع بين العقل وما هو ميل في كلّ إنسان، بما أنّ أوامر القوى العليا والعواطف تنتقل من خلال الأوردة التي تتلاقى في القلب. وهكذا أدركنا منذ القدم أهميّة النظر إلى الإنسان ليس كمجموعة طاقات مختلفة، إنّا هو عالم روحيّ وجسديّ وهو مركز موحّد يعطي لكلّ ما يختبره الإنسان معنى وهدفًا.

4. يقول الكتاب المقدّس إنَّ "كَلامَ اللهِ حَيُّ ناجِع [...] وبؤسْعِه أَن يَحَكُمَ على خَواطِرِ القَلْبِ وأَفكارِه" (العبرانيين 4، 12). وبهذا فهو يحدّثنا عن نواة، أي القلب، الذي يكون خلف كلّ المظاهر، حتى خلف الأفكار السطحيّة التي تسبّب لنا الاضطراب. كان تلميذا عمواس، أثناء رحلتها الرّوحيّة مع المسيح القائم من بين الأموات، يعيشان زمن ألم وارتباك ويأس وخيبة أمل. لكن، الأمر الأهمُّ هو أنّه حدث شيء ما في أعاقها: "أماكان قلبُنا مُتَّقِدًا في صَدرِنا، حين كان يُحدِّثنا في الطَّريق ويَشرَحُ لنا الكُنُب؟" (لوقا 24).

³ راجع المرجع نفسه، 10، 244.

⁴ راجع Timeo 65 c-d ، 70 ماجع

5. وفي الوقت نفسه، القلب هو مكان الصدق، حيث لا يمكن الحداع ولا التمويه. فيه التوايا الحقيقية، وما نعتقده ونؤمن به ونريده حقًّا، و"الأسرار" التي لا نقولها لأحد، باختصار فيه الحقيقة المجردة. هو ما ليس مظهرًا أو كذبًا، بل ما هو أصيل وحقيقي، وما نملكه بصورة كلية. ولهذا السبب سألت دليلة شمشون الذي لم يخبرها بسر قوته: "كيفَ تقولُ: إنِي أُحِبُّكِ، وقلبُكَ لَيسَ معي"؟ (القضاة 16، 15). ولمّا كشف لها سِرَّه الحفيّ "رَأَت دَليلَة أَنَّه قد أَطلَعَها على كُلِّ ما في قلبه" (القضاة 16، 15).

6. هذه حقيقة كلّ شخص وغالبًا ما تكون مخفيّة تحت تراكمات كثيرة تغطيها، وهذا يجعل من الصّعب الوصول إلى اليقين أنّك تعرف نفسك، ومن الأصعب أن تعرف شخصًا آخر: "القَلبُ تعرف نفسك، ومن الأصعب أن تعرف شخصًا آخر: "القَلبُ أَخدَعُ كُلِّ شيء، وأَخبَثُه فَمن يَعرفه؟" (إرميا 17، 9). وهكذا نفهم لماذا يحُثُنّا سفر الأمثال: "صُنْ قَلبَكَ أَكثَرَ من كُلِّ ما تَحفظ، فإنَّ مِنه تنبَيْقُ الحَياة. إنْفِ عنكَ خِداعَ الفَم" (4، تَحفظ، فإنَّ مِنه تنبَيْقُ الحَياة. إنْفِ عنكَ خِداعَ الفَم" (4، وتفسده. بالرّغم من كلّ المحاولات للتظاهر أو التعبير عن شيء وتفسده. بالرّغم من كلّ المحاولات للتظاهر أو التعبير عن شيء في الخارج أو ما يَخفَى، بل حقيقة ما نحن عليه. وهذا هو أساس كل خِطّة متينة لحياتنا، لأنّه لا يمكن بناء أيّ شيء صالح بدون القلب. المظاهر والأكاذيب لا تقدّم إلّا الفراغ.

7. على سبيل الاستعارة، اسمحوا لي أن أذكر شيئًا سبق أن قلته في مناسبة أخرى: "في مناسبة المرافع (الكرنفال)، لمَّا كِتَا أَطْفَالًا، كَانِت الْجَيْنة تَصِنع لنا حلويات، وكانت العجينة التي صنعتها رقيقة جدًّا. ولمَّا كانت تضعها في الزَّيت كانت تنتفخ. لكن العجينة التي نأكلها كانت فارغة. وكانت هذه الحلوى تسمّى باللغة الدارجة "الكَذِب" (bugie). وكانت الجدَّة تشرح لنا ذلك: هذه الحلوى تسمّى "الكَذِب"، لأنّها تظهر كبيرة، لكن لا شيء فيها، لا حقيقة ولا جوهر "5.

8. بدل البحث عن الرّضا السّطحيّ، وتمثيل دور أمام الآخرين، من الأفضل أن نطرح الأسئلة المهمّة: من أنا حقًا، ما الذي أبحث عنه، أيّ معنى أريد لحياتي، وخياراتي أو أعالي، لماذا ولأيّ هدف أنا في هذا العالم، كيف سأقيّم وجودي عندما ينتهي، ما المعنى الذي أريد أن يكون لكلّ ما أختبره، ماذا أريد أن أكون أمام الآخرين، ومَن أنا أمام الله؟ هذه الأسئلة تقودني إلى قلبي.

العودة إلى القلب

و. في هذا العالم المائع لا بد من أن نتكلم مرة أخرى على القلب، وهو المكان حيث كل إنسان، من كل نوع وحالة،

خطة في قدّاس الصّباح في بيت القدّيسة مارتا، 14 تشرين الأوّل\أكتوبر 5 عظة في قدّاس الصّباح في بيت القدّين الأوّل\أكتوبر 2016، 8. $L'Osservatore\ Romano$

يلخِّص ويكَوِّن ذاته، هنا حيث الكائن الواقعيّ يجد مصدر وجذور كلّ القوّة، والمعتقدات، والأهواء، والخيارات. نحن نتحرّك في مجتمع من المستهلكين بالجملة الذين يعيشون يومًا بعد يوم، مقيَّدِين بإيقاعات وضوضاء التّكنولوجيا، دون الكثير من الصّبر على العمليّات التي تتطلَّبُها الحياة الدّاخليّة. في مجتمع اليوم، يوشك الإنسان "أن يفقد المركز، مركز نفسه"6. "في الواقع، الإنسان المعاصر يجد نفسه كثيرًا مضطربًا، ومنقسمًا، ويكاد يخلو من مبدأ داخليّ يصنع الوَحدة والانسجام في كيانه وأعاله. وللأسف، يزداد ذلك سوءًا مع أنماط السلوك المنتشرة، سواء بصيغتها العقلانيّة التكنولوجيّة، أو، عكس ذلك، بصغتها الغريزيّة"7. القلب مفقود.

10. الآن، مشكلة المجتمع المائع هي مشكلة حاضرة واقعيّة، لكن عدم تقدير قيمة المركز الجميم للإنسان، أي القلب، يأتي من أبعد: نجده من قبل في العقلانيّة اليونانيّة ما قبل المسيحيّة، وفي المثاليّة في ما بعد المسيحيّة وفي الماديّة بأشكالها المختلفة. لم يكن للقلب مساحة كبيرة في الأنثرو بولوجيا. والفكر الفلسفي المنتشر يرى أنّه فكرة غريبة. ففضَّلوا مفاهيم أخرى عليه مثل العقل أو الإرادة أو الحرّيّة. وبقى مفهومًا مبهمًا،

⁶ القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، *صلاة الملاك،* 2 تموز/يوليو 2000: 4-2000 نوليو 2000، 4-4 توز/يوليو 4-000، 4.

⁷ المؤلَّف نفسه، التّعليم المسيحيّ أثناء المقابلة العامَّة، 8 حزيران /يونيو 1994: .5 ،1994 حزيران/يونيو 1994، 5.

ولم يُعط مكانًا محددًا في حياة الإنسان، ربّا لأنّه لم يكن من السّهل ترتيبه بين الأفكار "الواضحة والمتميّزة" أو بسبب صعوبة معرفة الدّات: يبدو أنّ الواقع الأكثر حميميّة هو أيضًا الأبعد عن معرفتنا. ومن جمة أخرى، ربّا لأنّ اللقاء مع الآخر لم يكن وسيلة راسخة لمعرفة الدّات، بل الفكر، والفكر يؤدّي إلى فرديّة معتلّة. لقد شعر الكثيرون بالأمان في عالم يمكن السيطرة عليه بالعقل وبالإرادة لبناء الأنظمة الفكريّة. وعدم إيجاد مكان للقلب، متميّز عن الملكات والعواطف البشريّة في النظر إليها منفصلة بعضها عن بعض، لم يتمّ تطويره على نطاق واسع، ولا حتى فكرة المركز للشّخص، حيث الشّيء الوحيد الذي يمكن أن يوحِد كلّ شيء، في نهاية المطاف، هو الحبّ.

11. إن لم نجعل قيمة للقلب، فلا قيمة للكلام على القلب، ولا لعمل يصدر عن القلب، ولا لتنضيج القلب أو العناية به. عندما لا نقدِّر خصوصيّات القلب، الإجابات التي لا يستطيع العقل وحده أن يقدِّما تفقد معناها، ويفقد اللقاء مع الآخرين قيمته، ويُفقد الشِّعر. ونفقد التّاريخ وقصصنا، لأنّ المغامرة الشّخصيّة الحقيقيّة هي التي تُبنى بالقلب. وفي النّهاية، هو الأمر الوحيد المُهمّ.

12. يجب أن نؤكِّد أنّ لنا قلبًا، وأنّ قلبنا يعيش مع قلوب أخرى تساعده على أن يكون "أنت". وبما أنّنا لا نستطيع الإسهاب في هذا الموضوع، نكتفي بالإشارة إلى شخصيّة في

رواية، هي ستافروجين (Romano Guardini) لدوستويفسكي. قول رومانو جوارديني (Romano Guardini) إنّه تجسيد للشّرة، لأنّ صفته الرّئيسيّة هي أنّه ليس له قلب: "ستافروجين (Stavròghin) لا قلب له، ولهذا روحه باردة وفارغة، وجسده مسمَّم بكسل وشهوة حيوانيّة. لذلك هو لا يستطيع أن يلتقي مع أحد في الصّميم، ولا أحد يستطيع أن يلتقي معه حقًا. لأنّ القلب وحده هو مكان اللقاء الصّميم، ويخلق الألفة الحقيقيّة بين كائنين. القلب وحده يعرف كيف يرجِب ويعطي وطنًا. العمل في الصّميم هو عمل ومجال القلب. لكن ستافروجين بعيد [...] بما لا حدً له، حتى عن نفسه، لأنّ الإنسان لا يمكن أن يكون قريبًا من نفسه إلّا بالقلب، لا بالعقل. ليس في قدرة الإنسان أن يدخل إلى داخل نفسه بقوة العقل. فإذا كان القلب بلا حياة، بقي الإنسان غريبًا عن نفسه".

13. نحتاج إلى وضع جميع الأعمال تحت "سيطرة وإدارة" القلب، من الضّروري أن تهدأ العدوانيّة وكلّ الرّغبات المسيطرة، في الخير الأكبر الذي يقدِّمه القلب، وفي القوّة التي يمتلكها على الشّرّور. من الضّروري أن يكون العقل والإرادة

⁸ الشياطين (1873).

ROMANO GUARDINI ⁹ العالم الديني في كتابات دوستويفسكي، بريشًا 1980، 236.

في خدمة القلب، فيشعران ويتذوقان الحقائق بدلًا من الرّغبة في السّيطرة عليهاكما يفعل العِلم عادة. من الضّروري أن تطلب الإرادة الخير الأكبر الذي يعرفه القلب. بل حتّى الخيال والمشاعر يجب أن تديرها وتوجّهها خفقات القلب.

14. وفي خلاصة الكلام، يمكن القول: أنا قلبي، لأنّه هو الذي يميّزني، ويصوغني في هويّتي الرّوحيّة، ويجعلني في تواصل مع الآخرين. يبيّن نظام الخوارزميّات العاملة في العالم الرّقي أنّ أفكارنا وقرارات إرادتنا نمطيّة تسير بموجب نمط محدَّد، أكثر ميّا كنّا نعتقد. يمكن التّنبّؤ بها بسهولة والتلاعب بها. ليس كذلك القلب.

15. القلب كلمة محمة للفلسفة واللاهوت اللذين يسعيان إلى تحقيق توليفة متكاملة. في الواقع، كلمة "القلب" لا يمكن تفسيرها بشكل شامل في علم الأحياء، أو في علم التفس أو الأنثروبولوجيا أو أي علم. وهي إحدى تلك الكلمات الأصلية "التي تشير إلى حقيقة الإنسان ككل كشخص من جسد وروح"10. وهكذا ليس عالِمُ الأحياء واقعيًا عندما يتكلم على القلب، لأنه لا يرى سوى جزء منه، والكلّ ليس أقلّ واقعيّة، بل هو أكثر ممّا يتكلّم عليه. ولا حتى الكلام التجريدي يمكن بل هو أكثر ممّا يتكلّم عليه. ولا حتى الكلام التجريدي يمكن

KARL RAHNER ¹⁰، بعض الأفكار للاهوت عبادة قلب يسوع الأقدس، في لاهوت قلب المسيح، روما 1995، 60.

أن يكون له المعنى نفسه مثل الكلام على ما هو ملموس فيه، ولا على كماله الواحد في الوقت نفسه. إن كان "القلب" يقودنا إلى المركز الحميم في شخصنا، فهو الذي يسمح لنا أيضًا بأن نعرف أنفسنا في كمال ذاتنا، وليس فقط في بعض الجوانب المنفصلة.

16. ومن جمة أخرى، فإنّ قوّة القلب الفريدة هذه تساعدنا على أن نفهم لماذا يقال إنّه عندما تدرك الواقع بقلبك، يمكنك أن تعرفه بصورة أفضل وأكمل. وهذا يقودنا حممًا إلى الحبّ، إذ إنّ القلب قادر على الحبّ، لأنّ "الحبّ هو أقوى العوامل في صميم الواقع"11. بحسب هايدجر (Heidegger)، وبحسب تفسير أحد المفكّرين المعاصرين، لا تبدأ الفلسفة بفكرة مجرَّدة، أو بشيء أكيد، بل تبدأ بشكّ يحتّك الفكر: "يجب أن يُحرَّك قبل أن يعمل بمفاهيم أو في أثناء عمله فيها. لا يبدأ الفكر بالعمل من دون انفعال عميق يحتِكه. أوّل صورة في الدّهن قد يكون القشعريرة. أوّل شيء يبعث على الفكر والسّؤال هو انفعال شديد. تحدث الفلسفة دامًا في حالة ذهنيّة أساسيّة" 12. وهنا يظهر القلب، الذي "يستضيف الحالات

¹¹ المرجع نفسه ، 61.

¹² BYUNG-CHUL HAN, Heideggers Herz. Zum Begriff der Stimmung bei Martin Heidegger, München 1996, 39.

الذّهنيّة، ويعمل بمثابة "الحارس على الذّهن". و"القلب" يصغي بطريقة غير مجازيّة إلى "الصّوت الصّامت" للكائن، ويسمح لنفسه بأن يُنظّم ويُحدَّد به"¹³.

القلب الذي يوحِّد ما تكسَّر

18. هكذا نرى كيف يوجد في قلب كلّ إنسان هذا الارتباط المتناقض بين احترام الدّات والانفتاح على الآخرين، بين اللقاء الشّخصيّ جدًّا مع الدّات وعطاء الدّات للآخرين. لن تكون

¹³ المرجع نفسه، 60، راجع 176.

¹⁴ راجع *المرجع نفسه، نزاع Eros،* ميلانو، 2019.

^{.144 ،1988 ،} ميلانو، Martin Heidegger شعر ،144 ،1988 ميلانو، 1988 ،

أنت ذاتك إلّا عندما تكتسب القدرة على أن تعترف بالآخر، ويتمُّ اللقاء مع الآخر القادر على معرفة وقبول هويّتك.

19. القلب قادر أيضًا على توحيد وتنسيق التّاريخ الشّخصيّ للإنسان، والذي يبدو مجزّاً إلى ألف قطعة وقطعة، ولكن حيث يمكن لكلّ شيء أن يكون له معنى. وهذا ما يعبّر عنه الإنجيل في نظرة مريم العذراء التي نظرت بقلبها. استطاعت أن تحاور مع الخبرات التي عاشتها، فتتأمّل فيها في قلبها، وتصبر وتتمهّل: وتجعل كلّ شيء رمزًا تحفظه في داخلها لتذكره. في الإنجيل، أفضل تعبير عمّا يفكّر فيه القلب ورد في مقطعَين في إنجيل القدّيس لوقا، حيث يقول لنا إنّ مريم "كانت تَحفَظُ (syneterei) جَمِيعَ هذهِ الأُمورِ ، وتَتَأَمَّلُها (symballousa) في قليها" (لوقا 2، 19؛ راجع 2، 51). الفعل "symballein" (منه يأتي "الرّمز") يعني التّأمّل والجمع بين شيئين في الدّهن، والتّشاور والتّأمّل والحوار مع الدّات. في لوقا (2، 51) كلمة "dieterei" تعني "كانت تحفظ بعناية"، وما كانت تحفظه لم يكن فقط "المشهد" الذي رأته، ولكن أيضًا ما لم تكن تفهمه بعد، ومع ذلك ظلَّ حاضرًا وحيًّا فيها، فيماكانت تنتظر أن تجمع كلّ شيء معًا في قلبها.

20. في عصر الذّكاء الاصطناعيّ، لا نقدر أن ننسى أنّ الشِّعر والحبّ ضروريّان لخلاص الإنسان. هناك أمور لا تقدر أيّة خوارزميّة على فهمها، مثلًا، لحظة الطّفولة التي نتذكّرها بحنان

والتي تستمر في الحدوث في كل ركن من أركان الكوكب، حتى مع مرور السّنين. أفكّر في استخدام الشّوكة لضبط أطراف تلك الأطعمة المصنوعة محليًا التي كانت تصنعها أمّهاتنا أو جدّاتنا. إنّها تلك اللحظة من التّدريب المهنيّ في مجال الطّهي، في منتصف الطّريق بين اللعب والبلوغ، حيث نتحمّل مسؤوليّة العمل لمساعدة الآخرين. مثل الشّوكة، يمكنني أن أذكر آلاف الأمثال لأمور صغيرة تملأ السيرة الذّاتيّة لكلّ شخص: إحداث ابتسامة بعد نكتة، ورسم رسمة في ضوء التَّافذة، ولعب أوَّل مباراة كرة قدم بكرة من خِرَق، والاحتفاظ ببعض الديدان الصّغيرة في علبة للأحذية، أو تجفيف زهرة ببن صفحات كتاب، أو الاعتناء بطائر سقط من العشّ، أو التَّفكر في تمتيات عند قطف زهرة الأقحوان. كلّ هذه التَّفاصيل الصَّغيرة، العاديَّة وغير العاديَّة، لا يمكن أن تكون أبدًا ضمن الخوارز مبّات. لأنّ الشّوكة، والنّكتة، والنّافذة، والكرة، وصندوق الأحذية، والكتاب، والعصفور، والرّهرة... كلُّها تعتمد على الحنان الذي يحفظها في ذكريات القلب.

21. التواة في كلّ إنسان، والمركز الحميم فيه، ليس التفس، بل هو الشّخص بأكمله في هويّته الواحدة، نفسًا وجسدًا. كلّ شيء يتوحَّد في القلب الذي يمكن أن يكون مقرَّ الحبّ بكلّ مكوِّناته الرّوحيّة والتّفسيّة وحتى الجسديّة. بالإيجاز، إذا ساد الحبّ، بلغ الشّخص هويّته بطريقة كاملة ومضيئة، لأنّ كلّ

إنسان خُلِقَ قبل كلّ شيء للحبّ، خُلِقَ في أعمق كيانه ليُحِبّ وليكون محبوبًا.

22. ولهذا السبب، عندما نشهد حروبًا جديدة، بتواطؤ بلدان أخرى أو تسامحها أو لامبالاتها، أو مع مجرّد صراعات على السلطة حول مصالح جزئية، يمكننا أن نقول إنّ المجتمع العالمي يفقد قلبه. يكفي أن تنظر وتستمع إلى النساء المسيّات - من مختلف أطراف النّزاع - ضحايا هذه الصّراعات المدمّرة. ومن المفجع أن نراهنَّ يندِئنَ أحفادهُنَّ المقتولين، أو يتمنّؤن الموت لأنّهنَّ فقدن البيت الذي عِشْنَ فيه دامًا. هُنَّ اللواتي كُنَّ في أغلب الأحيان نماذج للقوّة والصّمود في حياتهنَّ الصّعبة والمضجّية، الآن بعد أن وصَلْنَ إلى المرحلة الأخيرة من حياتهنَّ الولوف والسّخط. واللجوء إلى لوم الآخرين لا يحلّ هذه المأساة وغير مقبول، هذه علامة على عالم بلا قلب.

23. عندما يفكّر كلّ واحد منّا، ويبحث ويتأمّل في كيانه وهويّته، أو يحلّل الأسئلة الكبرى، وعندما يفكّر في معنى حياته وحتّى إن كان يبحث عن الله، حتّى لو أنّه شعر وكأنّه رأى شيئًا من الحقيقة، لن يصل إلى الغاية إلّا في الحُبّ. في الحبّ يشعر الإنسان أنّه يعرف لأيّ سبّب ومن أجل أيّ هدف يعيش. إذّاك يتّحدكلّ شيء معًا في حالة من الارتباط

والانسجام. لذلك، عندما يواجه المرء سرَّ ذاته، ربما يكون السَّؤال الأكثر حسمًا الذي يمكن للمرء أن يطرحه على نفسه هو: هل لدَىّ قلب؟

التّار

24. وهذا له عواقب على طرق الحياة الرّوحيّة. مثلًا، إنّ لاهوت الرّياضات الرّوحيّة للقدّيس أغناطيوس دي لويولا يعتمد على "الشّعور" (affectus) كميدأ له. يُدنَى البعد الخطابيّ على إرادة أساسيّة (تعبّر عن كلّ قوّة القلب) وهي سنَدُّ لمهمّة إعادة تنظيم الحياة. إنّ قواعد وترتببات المكان التي يقدِّمُها أغناطيوس تعمل بناء على "أساس" مختلف عنها، هو المجهول في القلب. ويوضِّع ميشيل دي سيرتو (Michel de Certeau) أنّ "الحركات" التي يتحدّث عنها القدّيس أغناطيوس هي انعكاسات لإرادة الله ولإرادة القلب التي تظلُّ مختلفة عن النّظام المذكور. يبدأ شيء غير متوقّع يتكلُّم في قلب الإنسان، شيء ينشأ من المجهول، ويحرّك مساحة ما هو معروف ويُدخِل فيه صراعًا. هذا أصل "ترتب جديد للحياة" في القلب. ولس هذا كلامًا عقلانيًّا يجب أن يتحوَّل إلى عمل، ثمّ ينتقل إلى الحياة، بحيث يكون الشّعور والعمل مجرّد نتائج - مترابطة – لعِلم أكيد.¹⁶

¹⁶ Cfr MICHEL DE CERTEAU, Lo spazio del desiderio. Gli «Esercizi Spirituali» di Loyola, in Il parlare angelico: figure

25. حيث يتوقَّف الفيلسوف بفكره، القلب المؤمن يُحت ويسجد ويستغفر ويقدِّم نفسه للخدمة في المكان الذي يعطيه إيّاه الله ليختار أن يتبعه. إذّاك يفهم أنّه هو المخاطب "أنت" أمام الله، وأنّه يمكن أن يكون "هو"، والله هو "أنت" بالنّسبة له. والواقع هو أنّ الرّبّ وحده هو الذي يعرض علينا أن يعاملنا كمخاطب، أنت، دامًّا والى الأبد. وقبول صداقته هي مسألة قلب، وتكوّن شخصنا بكلّ معني الكلمة

26. كان القديس بونافنتورا يقول إنّه في النّهاية يجب البحث "عن النّار لا عن النّور "17. وكان يعلِّم ويقول إنّ "الإيمان هو في العقل لإثارة الشّعور. مثلًا: المعرفة أنّ المسيح مات من أجلنا لا تبقى معرفة، بل تصير بالضّرورة "شعورًا"، محبّة "18. ومن هذا المنظور، اختار القدّيس يوحنّا هنري نبومان شعارًا له عبارة: "القلب يكلِّم القلب" (Cor ad cor loquitur)، لأنّ الرّبّ، بعيدًا عن أيّ جدليّة، يخلِّصنا بالتّحدّث إلى قلبنا من قلبه الأقدس. هذا المنطق نفسه كان يعني بالنسبة له،

per una poetica della lingua: secoli XVI e XVII, Firenze 1989, 95-110.

¹⁷ مسيرة العقل إلى الله ، VII ، 6: القدّيس بونافنتور ا ، ربط العلوم باللاهوت ، روما 1995، 93.

¹⁸ ID., *Proemium in I Sent.*, q. 3: *Opera Omnia*, Quaracchi 1882, vol. 1, 13.

وهو مفكّر كبير، أنّ مكان اللقاء الأعمق مع نفسه ومع الله لم يكن القراءة أو التأمّل، بل حوار الصّلاة، من القلب إلى القلب، مع المسيح الحيّ والحاضر. لذلك وجد نيومان في الإفخارستيّا قلب يسوع الحيّ القادر على أن يحرّر، ويعطي كلّ لحظة معناها، ويغرس السّلام الحقيقيّ في الإنسان: "يا قلب يسوع الأقدس والمحبوب، أنت مختبئ في القربان المقدّس، وقلبك يخفق دامًا هنا من أجلنا. [...] إنّي أسجد لك بكلّ حبّي وإجلالي، وبعاطفتي الحارّة، وبكلّ إرادتي بكلّ ما فيّ من حزم وخضوع. يا إلهتي، عندما تأتي إليّ في المناولة المقدّسة وتجعل سكناك فيّ، اجعل قلبي يخفق بانسجام مع قلبك! طهره من كلّ ما هو كبرياء وشهوة، ومن كلّ ما هو قسوة وتحجّر، ومن كلّ ما هو قسوة وتحجّر، ومن تقدر على تعكيره لا الأحداث اليوميّة ولا ظروف الحياة، فيجد السّلام في محبّتك ومخافتك" والسّلام في محبّتك ومخافتك" السّلام في محبّتك ومخافتك" السّلام في محبّتك ومخافتك" والمسلام أله المسلام في محبّتك ومخافتك" والمسلام في محبّتك ومخافتك"

27. أمام قلب يسوع الحيّ الحاضر، يفهم عقلنا، المستنير بالرّوح، كلام يسوع، فتبدأ الإرادة بالتّحرّك لتحويل الكلام إلى عمل. ولكن هذا يمكن أن يظلَّ شكلًا من أشكال الأخلاقيّات المكتفية بذاتها. الشّعور بالله والإحساس به وتكريمه هو أمر في القلب. القلب وحده هو القادر على وضع

^{.106 ،2002} ميلانو ، ميلانو ، S. John Henry Newman 19

القوى والأهواء الأخرى وشخصنا كلّه في موقف التبجيل والطّاعة المُحِبَّة للرّب.

يمكن للعالم أن يتغيّر انطلاقًا من القلب

28. انطلاقًا من القلب فقط، تقدر جهاعاتنا أن توجّد الأذهان والإرادات المختلفة وتهدئتها، وسيرشدنا الروح القدس مثل شبكة من الإخوة، لأنّ التّهدئة هي أيضًا محمّة القلب. قلب المسيح هو نشوة، إنّه طريق للخروج، إنّه عطيّة، إنّه لقاء. فيه نصبح قادرين على التواصل بطريقة سليمة وموقّقة، وبناء ملكوت المحبّة والعدل في هذا العالم. قلبننا المتّحد بقلب المسيح قادر على هذه المعجزة الاجتماعيّة.

29. أن نأخذ القلب على محمل الجدّ، له عواقب اجتماعيّة. وكما يعلِّم المجمع الفاتيكانيّ الثّاني، "يجب علينا جميعًا أن نغيِّر قلوبنا، وأن نثبِّتَ عيوننا على العالم أجمع وعلى كلّ الأشياء التي يمكن أن نقوم بها معًا لتقدّم الجنس البشريّ "20. لأنّ "أنواع الحلل التي تُتعِب العالم الحديث مرتبطة بالحلل الأساسيّ المتأصّل في قلب الإنسان "15. وأمام مآسي العالم، يدعونا المجمع إلى العودة إلى القلب، موضّعًا أنّ الإنسان "والحياة الدّاخليّة فيه هو أسمى

²⁰ دستور رعائي، *فرح ورجاء*، 82.

²¹ المرجع نفسه، 10.

من الكون كلّه. ويعود الإنسان إلى هذا الباطن العميق فيه عندما يدخل إلى قلبه، حيث ينتظره الله فاحص القلوب (راجع 1 صموئيل 16، 7؛ إرميا 17، 10)، وحيث يقرِّرُ مصيره هو بنفسه، تحت نظر الله"²².

30. هذا لا يعني الاعتاد كثيرًا على أنفسنا. لنكن حَذِرين: لندرِكُ أنّ قلبنا لا يكفي نفسَه، لأنّه ضعيف ومجروح. له كرامة أنطولوجيّة، لأنّه موجود، ولكن في الوقت نفسه، يجب أن يسعى إلى حياة فيها مزيد من الكرامة. 2 ويقول المجمع الفاتيكانيّ الثقاني أيضًا إنّ "خميرة الإنجيل قد أيقظت وما زالت توقظ في قلب الإنسان حاجة إلى الكرامة لا يمكن إلغاؤها "24. ولكن لكي نحيا وفقًا لهذه الكرامة، لا يكفي أن نعرف الإنجيل ولا أن نعمل بصورة آليّة بما يأمرنا به. نحن بحاجة إلى مساعدة الحبّ الإلهيّ. لنذهَبْ إلى قلب المسيح، مركز كيانه الذي هو أتون المجبّة الإلهيّة والإنسانيّة، وهو أعظم ملء يمكن للإنسان أن يلغه. هناك، في هذا القلب، نعرف أخيرًا أنفسنا ونتعلَّم كيف نجبّ.

²² المرجع نفسه ، 14.

²³ راجع دائرة عقيدة الإيمان، إعلان *الكرامة التي لا حدود لها*، 2 نيسان/أبريل 2024. 2024، 8. راجع *L'Osservatore Romano نيسان/أبر*يل 2024.

²⁴ دستور رعائي، فرح ورجاء، 26.

31. وأخيرًا، هذا القلب الأقدس هو المبدأ الموجِّد للواقع، لأنّ "المسيح هو قلب العالم، والفصح الذي هو موته وقيامته هو مركز التّاريخ، وهو تاريخ الخلاص"25. جميع المحلوقات "تتقدّم معنا ومن خلالنا نحو الهدف المشترك، وهو الله، في كمال فائق حيث المسيح القائم من بين الأموات يعانق كلّ شيء وينيره "26. أمام قلب المسيح، أطلب من الرّبّ أن يرأف مرّة أخرى بهذه الأرض الجريحة، التي أراد أن يسكنها مثل واحد منّا. ليسكُبَ كنوز نوره ومحبّته، لكي يستعيد عالمنا، الذي يعيش في الحروب والاختلالات الاجتماعية والاقتصادية وموجة الاستهلاك والاستخدام اللاإنساني للتكنولوجيا، حتّى يستعيد ما هو أهمّ وضروريّ وهو القلب.

²⁵ القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، ص*لاة الملاك،* 28 حزيران/يونيو 1998: L'Osservatore Romano حزيران /يونيو – 1 تقوز /يوليو 1998، 7.

²⁶ رسالة بابويّة عامّة، كُنْ مُسَبِّحًا، 24 أيّار /مايو 2015، 83: أعمال الكرستي الرّسولي (2015)، 880.

الفصل الثّاني أعمال وكلمات محبّة

32. إنّ قلب المسيح، الذي يرمز إلى مركز شخصه ومنه تندفّق محبّته لنا، هو النّواة الحيّة للبشارة الأولى. هو أصل إيماننا، وهو الينبوع الذي يُبقي المعتقدات المسيحيّة حيّة.

أعمال تطهر القلب

33. لم يُرِدْ المسيح أن يشرح لنا كثيرًا الطّريقة التي يحبّنا بها. لكنّه أظهر لنا ذلك بأعاله. إن نظرنا إليه يعمل، يمكننا أن نكتشف كيف يعامل كلّ واحد منّا، حتى لو صعب علينا أن نراه. لنذهَبْ إذن ننظر إليه حيث يمكن لإيماننا أن يتعرّف عليه، أي في الإنجيل.

34. يقول الإنجيل إنّ يسوع "جاء إلى خاصّته" (راجع يوحنّا 1، 11). نحن خاصّته، لأنّه لا يعاملنا كغرباء. إنّه يعتبرنا ملكًا له، ويحافظ علينا بعناية ومودّة. إنّه يعاملنا مثل خاصّته، وهذا لا يعني أنّنا عبيد له، هو نفسه ينفي ذلك: "أنا لا أدعوكم عبيدًا بعدَ اليّوم" (راجع يوحنّا 15، 15). ما يقترحه هو علاقة متبادلة مثل الأصدقاء. جاء، وتخطّى كلّ المسافات، وأصبح قريبًا منّا مثل أبسط الأشياء وأكثرها في حياتنا اليوميّة. في الواقع، له اسم آخر وهو "عمّانوئيل" ومعناه "الله معنا"، الله

القريب من حياتنا، الذي يعيش بيننا. تجسَّد ابن الله، "وتَجَرَّدَ مِن ذَاتِهِ مُتَّخِذًا صُورَةَ العَبد" (فيلبي 2، 7).

35. وهذا واضح عندما نراه يعمل. إنّه يبحث دامًّا، إنّه قريب منّا، ومستعدّ دامًّا للقاء. نرى ذلك عندما توقَّف للتحدُّث مع المرأة السّامريّة عند البئر حيث جاءت تستقي (راجع يوحنّا 4، 5-7). نرى ذلك عندما التقى، في ظلام الليل، بنيقوديمُس، الذي كان يخاف أن يُرى مع يسوع (راجع يوحنّا 8، 1-2). ونُدهَشُ عندما نراه يترك امرأة زانية تغسل قدمَيه بلا خجل (راجع لوقا 7، 36-50)، وعندما يقول للمرأة الزّانية، ناظرًا إليها عيناه في عينيها: "أنا لا أحكمُ عليكِ" (يوحنّا 8، ناظرًا إليها عيناه في عينيها: "أنا لا أحكمُ عليكِ" (يوحنّا 8، على الطّريق ويقول له بمودّة: "ماذا تُريدُ أَن أَصنَعَ لَكَ؟" (مرقس 10، 51). المسيح يبيّن لنا أنّ الله قريب ورحيم وحنّان.

36. ولمّا كان يشفي مريضًا، كان يفضّل أن يقترب منه: "فَمَّ يسوعُ يَدَه فَلَمَسَه" (متّى 8، 15). "ولَمَسَ يَدَه" (متّى 8، 15). "ولَمَسَ يَدَه" (متّى 9، 29). ووقف مرّة حتّى ليشفي مريض بتفاله (راجع مرقس 7، 33)، كان يتصرَّفْ مثل الأمّ، حتّى لا يشعروا بأنّه غريب عن حياتهم. لأنّ "الرّبّ يسوع يعلم

عِلم الملاطفة الجميل. حنان الله لا يجِبُّنا بالكلام. الله يقترب متّا، وبقربه منّا، يمنحنا محبّته بكلّ حنان ممكن"²⁷.

76. بما أنّه يصعب علينا أن نثق، لأنّنا جُرِحْنا مرارًا بالأكاذيب الكثيرة والاعتداءات وخيبات الأمل، هو يهمس في أذننا: "ثِقْ، يا بُنَيّ" (متّى 9، 2)، "ثقي، يا ابنّي" (متّى 9، 22). يجب التغلُّب على الخوف ويجب أن نفهم أنْ ليس لنا ما نخسره معه. لبطرس الذي كان فريسة للشّكّ، "مَدَّ يسوعُ يَدَه وأَمسكَهُ وهُو يَقُولُ له: [...] لياذا شَكَكْتَ؟" (متّى 14، 31). لا تَخَفْ. دَعْهُ يقترب منك، وأجلسه بجانبك. يمكن أن نشكّ في كثير من النّاس، وأمّا فيه فلا يمكن. ولا تتوقَّفْ بسبب خطاياك. تذكّر أنّ خطأةً كثيرين "اتّكأوا معه" على المائدة للطّعام (راجع متّى 9، 10) ولم يتشكّكوا منه، وقالوا إنّه "أُولُ للطّعام (راجع متّى 9، 10) ولم يتشكّكوا منه، وقالوا إنّه "أُولُ شِرِيبٌ لِلْخَمْرِ صَدِيقٌ للجُباةِ والخاطِئين" (متى 11، 19). ولمّا انتقد الفرّيسيّون قربه هذا من الأشخاص ذوي المكانة المتدنّية أو الخطأة، قال لهم يسوع: "أُريدُ الرَّحَمَةَ لا الذّبيحَة" (متّى 9، 13).

²⁷ عظة في قدّاس الصّباح في بيت القدّيسة مارتا، 7 حزيران /يونيو 2013: L'Osservatore Romano، عزيران /يونيو 2013، 8. 38. هذا يسوع نفسه ينتظرك اليوم حتى تتيح له بأن ينير حياتك، وينهضك، ويملأك بقوته. وفي الواقع، قبل أن يموت، قال لتلاميذه: "لن أَدَعَكُم يَتامى، فإنِي أَرجعُ إلَيكُم. بَعدَ قَليلٍ لَن يَراني العالَم. أمَّا أَتُمُ فسَنَرُونَني" (يوحنّا 14، 18– 19). إنّه يجد دائمًا طريقة لإظهار نفسه في حياتك حتى تتمكّن من الالتقاء به.

نظرة يسوع

29. روى لنا الإنجيل أنّ رجلًا غنيًّا جاء إليه، يريد أن يحيا حياة مثاليّة، لكنّه لا يقدر أن يغيّر حياته. "فَدَّقَ إليهِ يسوع" (مرقس 10، 21). هل يمكنك أن تتصوَّر تلك اللحظة، ذلك اللقاء بين عيني هذا الرّجل ونظرة يسوع؟ إن دعاك، وإن كلَّفك برسالة، فإنّه ينظر إليك أوّلًا، ويدخل في أعاقك، ويدرك ويعرف كلّ ما فيك، ويثبّت نظره فيك: "كانَ يسوعُ سائرًا على شاطِئِ بَحرِ الجليل، فرأَى أَخَوَيْن [...] ثُمَّ مَضى في طريقِه فرأَى أَخَوَيْن آخَرَيْن" (متى 4، 18، 21).

40. تُظهر لنا نصوص كثيرة في الأناجيل أنّ يسوع كان متنيّهًا للأشخاص، ولهمومهم ومعاناتهم. مثلًا: "عندما رأَى الجُموعَ أَخذَته الشَّفَقَةُ علَيهم، لأَنَّهم كانوا تَعِبينَ رازِحين" (متّى 9، 36). عندما يبدو لنا أنّ الجميع يتجاهلوننا، وأن لا أحد مُعتَمُّ بما يحدث لنا، وأننا لسنا محمِّين لأيّ أحد، هو ينتبه إلينا. وهذا ما عناه بكلامه لنتنائيل الذي كان واقفًا وحده ومتوحِّدًا مع ذاته: "قبلَ

أَن يَدعوَكَ فيلِبُّس وأَنتَ تَحَتَ التِّينَة، رأَيتُك" (يوحنّا 1، 48).

41. لأنّه منتبه إلينا، فهو قادر على أن يعرف كلّ نيّة صالحة فيك، وأصغر أعالك الصّالحة التي تقوم بها. يقول لنا الإنجيل إنّه "رأًى أَرمَلَةً مِسكينَةً تُلقي فَلسَين مِن نُحَاس [في خزانة الهيكل]" (لوقا 21، 2) ولفت انتباه رسله إليها على الفور. يهتمُّ يسوع بنا وينتبه إلينا ويُعجَبَ بالأشياء الصّالحة التي يراها فينا. عندما سأله قائد المائة بكلّ ثقة، قال الإنجيل: "لَمَّا سَمِعَ يسوعُ كَلامَه، أُعْجِبَ بِه" (متى 8، 10). كم هو جميل أن نعرف أنّه إذا كان الآخرون لا يدركون نوايانا الحسنة أو الأشياء الإيجابيّة التي نقوم بها، فإنّ يسوع لا يجهلها، بل يُعجب بها.

42. كإنسان، تعلَّم هذا من مريم أمِّه. فهي التي كانت تتأمَّل في كلّ شيء باهتمام و "تحفظ كلّ شيء في قلبها" (راجع لوقا 2، 19. 51). مريم أمُّه علَّمَتْه منذ الصّغر، مع القدّيس يوسف، أن ينتبه إلى كلّ شيء.

الكلمات

43. كلمته، في الكتاب المقدّس، دائمًا حيّة ولها قيمتها وتنطبق على الحالة التي نحن فيها، ومع ذلك فإنّ يسوع يكلّمنا أحيانًا في داخلنا ويدعونا ليأخذنا إلى المكان الأفضل. والمكان الأفضل هو قلبه. وهو يدعونا ليدخلنا إلى حيث يمكننا أن نجد القوّة

والسّلام: "تَعالَوا إِليَّ جَميعًا أَيُّها المُرهَقونَ المُثقَلون، وأَنا أَرْيُكُمَّ" (متّى 11، 28). ولهذا قال لتلاميذه: "اثبُتوا فيَّ" (يوحنّا 15، 4).

44. يدُلُّ كلام يسوع على أنّ قداسته لم تُلغ عواطفه. فقد أظهر في بعض المناسبات حبًّا شديدًا لنا، وهو يتألَّم من أجلنا، وينفعل، ويعاتب، حتى البكاء. ومن الواضح أنّه لم يكن غير مبالٍ بهموم النّاس وقلقهم، مثل التّعب أو الجوع: "أشفِقُ على هذا الجَمْع، [...] لَيسَ عِندَهم ما يَأْكُلُون. وإن صَرَفتُهم إلى بيوتِهم صامَّين، خارَت قُواهم في الطَّريق، ومِنهُم مَن جاءً مِن مَكانٍ بَعيد" (مرقس 8، 2-3).

45. لا يُخفي الإنجيل مشاعر يسوع تجاه أورشليم، المدينة التي أحبَّها: "ولمَّا اقتَرَبَ فَرأَى المَدينة بكى علَيها" (لوقا 19، 41) وأعرب عن حبِّه الكبير لها بقوله: "لَيتَكِ عَرَفتِ أَنتِ أَيضًا في هذا اليوم طريق السَّلام" (19، 42). ومع أنّ الإنجيليّين يظهرونه أحيانًا قويًا أو مجيدًا، إلّا أنّهم يبيّنون أيضًا مشاعره عندما يواجه موت أصدقائه وألمهم. وقبل أن يقول لنا الإنجيل إنّ "يسوع دَمعَت عَيْناه" (راجع يوحتا 11، 35) عند قبر لعازر، توقف الإنجيليّ ليقول لنا إنّ "يسوع كان يُحِبُّ مَرْتا وأختها ولعازر" (يوحتا 11، 5)، وإنّه "لمّا رآها تبكي ويبكي ويبكي معها اليهودُ الَّذينَ رافقوها، جاشَ صَدرُه وَاضطَرَبَت نَفْسُه" (يوحتا 11، 35). ولا تدع الرّواية مجالًا للشّك في أنّه كان (يوحتا 11، 35).

بكاء صادقًا، ناجمًا عن ألم عميق فيه. وأخيرًا، لم يُخفِ يسوع ألمه الشّديد أمام موته العنيف على أيدي الذين أحبَّم هو كثيرًا: "وجعَلَ يَشعُرُ بالرَّهَبةِ والكآبة" (مرقس 14، 33)، إلى أن قال: "نَفسِي حَزِينَةٌ حَتَّى المَوْت" (مرقس 14، 34). وظهر هذا الاضطراب الدّاخليّ الشّديد بأقصى قوّة في صرخته على الصّليب: "إلهي إلهي لماذا تركتني" (مرقس 15، 34).

46. كلّ هذا، في نظرة سطحية، قد يبدو وكأنه فقط رومانسية دينية. ومع ذلك، فهو في غاية الجدّية والحسم. وأقصى تعبير لهذا الواقع هو المسيح المُسمَّر على الصّليب. هذه هي كلمة الحبّ البليغة. ليس شيئًا مخفيًّا، ليس محض عاطفة، وليس هروبًا روحيًّا. إنّه الحُبّ. لهذا، لمّاكان القدّيس بولس يبحث عن الكلمات المناسبة لشرح علاقته بالمسيح، قال: "أحَبَّنِي وَجَادَ بنَفسِهِ مِن أَجلِي" (غلاطية 2، 20). هذه كانت كبرى قناعاته: عرف أنّه محبوب. موت المسيح على الصّليب ملأ كيانه وأسره، وماكان يعطي كلّ ذلك معنى هو قوله: "أحَبَّنِي". كثير من النّاس يبحثون في معتقدات دينيّة قوله: "أحَبَّنِي". كثير من النّاس يبحثون في معتقدات دينيّة بولس، فبعد أن ملأه الرّوح القدس، عرف أن ينظر إلى ما هو أبعد من كلّ ذلك، وأن يندهش أمام أعظم وأهم شيء: "أَحَبَّنِي".

47. بعد أن تأمَّلنا في المسيح، ورأينا كيف يمكننا أن نعرف قلبه في أعماله وأقواله، لنَرَ الآن كيف تتأمَّل الكنيسة في سِرِّ قلب يسوع الأقدس.

الفصل الثّالث هذا هو القلب الذي أحبَّ كثيرًا

48. إكرام قلب المسيح ليس عبادةً لجزء منفصل من شخصه. ما نتأمّل فيه ونسجد له هو يسوع المسيح بأكمله، هو ابن الله الذي صار إنسانًا، والذي نمثِّله في صورة نُظهر فيها صورة القلب. في هذه الحالة، القلب الجسديّ هو صورة أو علامة مميّزة لما هو الجوهر، والأكثر حميميّة، في الابن المتجسِّد وهو محبّته الإلهيّة والإنسانيّة، و"الدّليل الطّبيعي، أو الرّمز لمحبّته العظيمة"²⁸، أكثر من أيّ جزء آخر في جسده.

السجود للمسيح

49. من الضّروري التَّأَكِيد على أنّ علاقتنا التي هي محبّة وسجود لشخص المسيح، إنّا هي انجذاب إلى المحبّة التي تمثِّلها صورة قلبه. نحن نكرّم تلك الصّورة التي تمثِّله، لكن السّجود هو للمسيح الحيّ، في لاهوته وفي كلّ إنسانيّته، لكي تغمرنا محبّته البشريّة والإلهيّة.

 ²⁸ بيوس الثاني عشر، رسالة بابوية عامة، تستقون المياه -Haurietis Aquas،
 15 أيّار /مايو 1956، I. أعمال الكرستي الترسولي 48 (1956)، 316.

50. أيًّا كانت الصّورة المستخدمة، من المؤكّد أنّ قلب المسيح الحتى، وليس الصورة، هو موضوع سجودنا، لأنّه جزء من جسده الأقدس والقائم من الموت، وغير المنفصل عن ابن الله الذي اتّخذ هذا الجسد إلى الأبد. نحن نسجد له لأنّه "قلب أقنوم الكلمة، المتَّحد به بصورة لا تنفصل "29". نحن لا نسجد له بصورة منفردة، بل لأنَّ القلب هو الآين المتجسِّد نفسه، الذي يحيا ويُحِبّ ويَقبَلُ حبَّنا. لذلك، فإنّ كلَّ عمل محبّة وكلّ سجود لقلبه الأقدس، إنّا هو موجَّه "حقًّا إلى المسيح نفسه"30، وهذا القلب يشير إليه تلقائيًّا وهو "رمز وصورة معبّرة لمحبّة يسوع المسيح اللامتناهية"31.

51. لهذا يجب ألا يفكِّر أحد أنّ هذه العبادة يمكن أن تفصلنا أو تصرفنا عن يسوع المسيح وعن محبّته. بل إنّها توجّهنا إليه، واليه وحده، بطريقة تلقائيّة ومباشرة، وهو يدعونا إلى صداقة غالية فيها حوار، ومودَّة، وثقة وسجود. هذا المسيح ذو القلب المطعون والمتَّقد هو نفسه الذي وُلِدَ في بيت لحم حُبًّا لنا، وتجوَّل في الجليل يشفي ويلاطف ويشفق، هو الذي أحبَّنا

^{28 ،} Auctorem fidei- بيوس الشادس، دستور، مصدر الإيمان 28، آب/أغسطس 1794، 63: (Denzinger-Hünermann). 2663.

³⁰ لاون الثّالث عشر، رسالة بابويّة عامّة، *السّنة المقدّسة - ما* Sacrum، 25 أيّار /مايو 1899: أعهال الكرستي الرّسولي 31 (1898-.649 (1899

^{31/} المرجع نفسه: "في القلب الأقدس رمز وصورة صريحة لحبّ يسوع المسيح اللامتناهي".

حتى النّهاية، فاتحًا ذراعيه على الصّليب. وأخيرًا، هو نفسه الذي قام من الموت حيًّا ممجَّدًا.

تكريم صورته

52. جدير بالذّكر أنَّ صورة قلب المسيح، مع أنّها ليست هي موضوع السّجود بأيّ شكلٍ من الأشكال، إلّا أنّها ليست صورة عاديّة من الصّور التي يمكن أن نختارها. ليست شيئًا اخترعه رسَّام على لوحة الرّسم أو صمَّمها فنّان، "إنّها ليست رمزًا خياليًّا، إنّها رمز حقيقيّ، تمثِّل الجوهر، والينبوع الذي تدفّق منه الخلاص لجميع البشريّة "32.

53. إنّ الخبرة الإنسانية الشّاملة جعلت صورة قلب المسيح أمرًا فريدًا. في الواقع، مِمَا لا شكّ فيه، أصبح القلب، على مَرِ التّاريخ وفي أنحاء العالم كلّه، رمزًا للحميميّة الشّخصيّة، وأيضًا للمودّة والانفعالات، والقدرة على الحبّ. وبغض التظر عن كلّ تفسير علميّ، إنّ وضع اليد على قلب صديق يعبِّر عن مودّة خاصّة، وعندما تقع في الحبّ وتكون قريبًا من شخص مودّة خاصّة، تتسارع خفقات القلب. وعندما تشعر بالهجر أو بالخداع من قبل شخص عزيز عليك، فإنّك تشعر بانقباض بالحداع من قبل شخص عزيز عليك، فإنّك تشعر بانقباض شديد في قلبك. لذلك، للتعبير عن كلام صادق، صادر من

³² صلاة الملاك، 9 حزيران /يونيو 2013: L'Osservatore Romano. 1013 عزيران /يونيو 2013، 8.

صميم الشّخص، نقول: "أقول لك من قلبي". ولا يمكن للّغة الشّعريّة أن تتجاهل قوّة هذه الخبرة. ولذلك فمن المحتمّ أن يكون للقلب عبر التّاريخ قُدرة رمزيّة فريدة، وليس الأمر فقط تقليدًا.

54. نفهم إذًا أنّ الكنيسة اختارت صورة القلب لتمثّل محبّة يسوع المسيح البشريّة والإلهيّة، وجوهر شخصه الأكثر حميميّة. وإذا كان رسم القلب يحيط به لهب نار رمزًا بليغًا يذكّرنا بمحبّة يسوع، فمن المناسب أن يكون هذا القلب جزءًا في صورة ليسوع المسيح. بهذه الطّريقة تزداد وضوحًا دعوته إلينا لتكون لنا معه علاقة شخصيّة للقاء والحوار .33 صورة المسيح هذه التي نكرّمها، والتي يظهر فيها قلبه المُحِبّ، فيها أيضًا نظرة تدعو إلى اللقاء والحوار والثّقة، وفيها يَدان قويّتان قادرتان على إسنادنا، وفيها فَمُ يتحدّث إلينا بطريقة فريدة وشخصيّة جدًّا.

³⁸ هكذا نفهم لماذا منعت الكنيسة وضع صور لقلب يسوع أو لقلب مريم وحدهما على المذبح (راجع ردّ رهبنة Riti إلى الكاهن كارلوس ليكوك، 5 كنيسان/أبريل Riti : Riti إلى الكاهن كارلوس ليكوك، 5 كنيسان/أبريل Sacrorum Rituum ex actis ejusdem collecta, vol. III, 107-107. خارج الليتورجيّا، "للعبادة الحاصّة" (المرجع نفسه)، يمكن استخدام رمز القلب كتعبير تعليميّ أو صورة جاليّة أو رمزيّة يدعونا إلى التفكير في محبّة المسيح، لكننا نوشك أن نتخذ القلب موضوعًا للعبادة أو الحوار الروحيّ، منفصلًا عن شخص المسيح. في 31 آذار /مارس 1887، قدّمت الروحيّ، منفصلًا عن شخص المسيح. في 31 آذار /مارس 1887، قدّمت الروحيّ، منفصلًا عن شخص المسيح. في 31 آذار /مارس 3673).

55. القلب له ميزة خاصة، فهو ليس فقط عضوًا منفصلًا مستقِلًا، بل هو المركز الموجِد الحميم، والمعبِر، في الوقت نفسه، عن كلّ الشّخص، وهذه محمّة لا يقوم بها أيّ عضو من سائر أعضاء الجسد البشريّ. إذا كان هو المركز الحميم للشّخص كلّه، فهو جزء يمثِّل الكلّ. ويمكننا بسهولة تحريفه عن معناه إذا تأمّلنا فيه بصورة منفصلة عن شخصيّة المسيح الكاملة. صورة القلب يجب أن تضعنا في علاقة مع يسوع المسيح في كلّ شخصيّته، وفي مركزه الموجِد. وهذا المركز الموجِد، يجب أن يوجّهنا إلى التأمّل في المسيح بكلّ جال وغنى إنسانيّته وألوهيّته.

56. وهذا يذهب بنا إلى أبعد من جاذبيّة الصّور المحتلفة التي رُسِمَتْ لقلب المسيح، لأنّنا، أمام صور المسيح "لا نطلب منها شيئًا، ولا نضع ثقتنا فيها، كهاكان يعمل الوثنيّون قديمًا"، لكن "بالصّور التي نقبّلها ونكشف أمامها رؤوسنا ونسجد لها، نحن نسجد للمسيح الحتى"³⁴.

57. علاوة على ذلك، قد تبدو بعض هذه الصّور غير جدّابة بالنّسبة لنا، وقد لا تدفعنا كثيرًا إلى المحبّة والصّلاة. هذا أمر ثانويّ، لأنّ الصّورة ليست سوى رَسم محفّزٍ، وكما يقول

 ³⁴ المجمع التريدنتيني المسكونيّ، الجلسة XXV، قرار "يأمر السينودس المقدّس"
 34 (Mandat Sancta Synodus)
 35 كانون الأوّل/ديسمبر 1863.
 36 (Denzinger-Hünermann)

الشرقيّون، ينبغي ألّا نظلّ نشير بإصبعنا إلى القمر. بينا الإفجارستيّا هي حضورٌ حقيقيٌ وهي موضوع سجودنا، الصّورة هي في هذه الحالة مجرّد صورة، ولو أنّها مباركة، وتدعونا إلى أن نتجاوزها وإلى أن نوجّه قلبنا إلى قلب المسيح الحيّ والاتّحاد به. الصّورة التي نكرّما تدعونا، وتدُلُنّا، وتؤثّر فينا، حتّى نخصّص وقتًا للقاء مع المسيح والسّجود له، كما نتصوّره على أفضل وجه. هكذا، بالتظر إلى الصّورة، نقف أمام المسيح، وأمامه "تعتكف المحبّة، وتتأمّل في السّر، وتتمتّع به في صمت "35.

58. بعد أن قلنا هذا كله، يجب ألّا ننسى أنّ صورة القلب تحدِّثنا عن الجسد البشري، وعن الأرض، ومن ثمّ فهي تُحدِّثنا أيضًا عن الله الذي أراد أن يدخل في تاريخنا، ويصير جزءًا من تاريخنا، ويشاركنا رحلتنا الأرضية. عبادة تجريدية لن تكون حثمًا أفضل وأكثر أمانة للإنجيل، لأنّ الله أراد أن يظهر لنا ويكون قريبًا منّا بهذه الطريقة الحسية والقريبة منّا.

الحبّ الحِسِّي

59. ليس بالضّرورة أن يكون الحبّ والقلب متَّحدَيْن، لأنّ الكراهية واللامبالاة والأنانيّة يمكن أن تسود في قلب الإنسان.

³⁵ مؤتمر الأساقفة الخامس في أمريكا اللاتينيّة والكاريبي، وثيقة الأباريسيدا -Documento di Aparecida، 29 حزيران /يونيو 2007، رقم 259.

لكننا لا نصل إلى إنسانيتنا الكاملة إن لم نخرج من أنفسنا، ولا نصبح أنفسنا بصورة كاملة إن لم نحِبّ. لذلك، فإنّ المركز الحميميّ في شخصنا، المخلوق للحبّ، لن يحقِّق خطّة الله إلّا إذا أحَبّ. وهكذا فإنّ رمز القلب هو في الوقت نفسه رمز إلى الحبّ.

00. إنّ ابن الله الأزليّ، المتعالى بلا حدود، أراد أن يجبّني بقلب إنسان. فصارت مشاعره الإنسانيّة السِّرَّ والعلامة للحبِّ اللامحدود والنّهائيّ. ولهذا فإنّ قلبه ليس رمزًا مادّيًّا يعبِّر فقط عن واقع روحيّ أو منفصل عن المادّة. إنّ التظرة الموجَّهة إلى قلب الرّبّ تتأمّل في واقع جسديّ، جسد الإنسان، وهو يجعل من الممكن أن يكون في المسيح انفعالات وعواطف بشريّة، مثلنا، ومحوّلة تحَوُّلًا كاملًا بحبّه الإلهيّ. ويجب أن تصل العبادة إلى المحبّة اللامتناهية لشخص ابن الله، لكن يجب أن تعل نؤكّد أنّها لا تنفصل عن محبّته كإنسان، ولهذا الهدف تساعدنا صورة قلبه الجسديّ.

61. إن كان القلب، حتى اليوم، يُنظر إليه في المشاعر السّعبيّة على أنّه المركز العاطفيّ لكلّ إنسان، فهو أفضل ما يدُلّ على المحبّة الإلهيّة للمسيح، المتّحدة إلى الأبد وبشكل لا ينفصل، بمحبّته الإنسانيّة الكاملة. قال البابا بيوس النّاني عشر إنّ كلمة الله "في كلامه على حبِّ قلب يسوع نفسه، لا يعني الحُبّ الإلهيّ فقط، بل أيضًا مشاعر المودّة الإنسانيّة [...].

لذلك فإنّ قلب يسوع المسيح، المتّحد أقنوميًّا بشخص الكلمة الإلهي، يخفق بالتّأكيد بالحبّ وبكلّ عاطفة حسيّة أخرى"³⁶.

26. في آباء الكنيسة، وأمام بعض الذين أنكروا إنسانية المسيح الحقيقية أو قالوا إنها نسبية، نجد تأكيدًا شديدًا على الحقيقة الملموسة والواقعية لعواطف الرّبّ البشريّة. وهكذا أكّد القدّيس باسيليوس أنّ تجسّد الرّبّ لم يكن شيئًا خياليًّا، بل القدّيس باسيليوس أنّ تجسّد الرّبّ لم يكن شيئًا خياليًّا، بل النّهبي الفم مثلًا قال: "لو لم يكن له طبيعتنا البشريّة لما شعر بالحزن أكثر من مرّة "38. وقال القدّيس أمبروزيوس: "بما أنّه أخذ النّفس، فقد أخذ أهواء التفس"95. ويقول القدّيس أغسطينس إنّ العواطف البشريّة هي واقع، وبمجرّد أن اتّخذها المسيح، لم تعد غريبة عن حياة النّعمة: "أخذ الرّبّ يسوع كلّ المدة الموت الجسديّ، ليس عن ضرورة فرضت عليه، بل بإرادة راحمة. [...] لذلك، إذا

³⁶ رسالة بابوية عامّة، تستقون المياه -Haurietis Aquas، 15 أيّار /مايو 1956: *أعيال الكرستي الترسولي* 48 (1956)، 324-324.

³⁷ الرّسالة 261، 3: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 32، 972.

³⁸ في إنجيل القديس يوحنا، العظة 63، 2: مجموعة المؤلفات لآباء الكنيسة اليونانية 69، 350.

³⁹ II ، De fide ad Gratianum ، أن جُمُوعة المؤلَّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 16، 594 (طبعة 1880).

حدث للبعض أن يحزن ويتألّم في وسط التّجارب البشريّة، لا يحزن ولا يتألّم، ولا يعدّ نفسه متروكًا تركته نعمة المسيح "40. وأخيرًا يرى القدّيس يوحنّا الدّمشقي أنّ هذه الخبرة العاطفيّة الحقيقيّة التي عاشها المسيح في إنسانيّته هي دليل على أنّه اتّخذ طبيعتنا بكلِيّتِها لا جزئيًّا، ليفنديها ويحوّلها بكلِيّتِها. اتّخذ المسيح كلّ العناصر التي تتكوّن منها الطبيعة البشريّة، لكي يقدِسَها كلّها. 41

63. يجدر بنا أن نذكر هنا فكرة أحد اللاهوتين الذي يعترف بأنّ "اللاهوت، تحت تأثير الفكر اليونانيّ، قد أحال، مدّة فترة طويلة، الجسد والمشاعر إلى عالم ما قبل الإنسان، أو إلى ما هو دون الإنسان، أو إلى ما هو تجربة للإنسان. لكن ما لم يجد له اللاهوت حَلَّا من النّاحية النّظريّة، وجد له حَلَّا في الحياة الرّوحيّة العمليّة. هذه الحياة الرّوحيّة والعبادات الشّعبيّة حفظت العلاقة حيّة مع الجوانب الجسديّة والتفسيّة والتّاريخيّة في شخصيّة يسوع. فإنّ درب الصليب، وتكريم جراحاته، وروحانيّة الدّم الثّمين، وتكريم قلب يسوع، والمارسات الإفارسات في اللاهوت، وغذّى الإفارسات في اللاهوت، وغذًى

سروحات = Litarrationes في المرمور 67 . بموعه الموقف دباع الكنيسة اللاتينيّة 37، 1111.

الخيال والقلب، الذي هو المحبّة والحنان في المسيح، والرّجاء والذّكرى، والشّوق والحنين. وسار العقل والمنطق في طرق أخرى"⁴².

الحبّ الثّلاثيّ

64. ولا نتوقف عند مشاعره الإنسانية، مما كانت جميلة ومؤثّرة، لأنّنا عندما نتأمّل في قلب المسيح ندرك كيف تظهر في مشاعره النبيلة والسّليمة، وفي حنانه، وفي ارتعاش عاطفته الإنسانيّة، الحقيقة الكاملة لحبِّه الإلهتي اللامتناهي. قال البابا بندكتس السّادس عشر: "من أفق حبّه اللامتناهي، أراد الله أن يدخل في حدود التّاريخ والحالة الإنسانيّة، فاتّخذ جسدًا وقلبًا، حتّى نتمكّن من التأمّل فيه واللقاء باللامحدود في المحدود فيه، أيّ السّرّ غير المربيّ والذي لا يوصف في قلب يسوع النّاصريّ البشريّ "43.

65. في الواقع، نرى في صورة قلب الرّبّ محبّة ثلاثيّة تدهشنا. أوّلًا، الحبُّ الإلهيّ اللامحدود الذي نجده في المسيح. ولكن لنفكِّرْ أيضًا في البُعدِ الرّوحيّ لإنسانيّة الرّبّ. من هذا

OLEGARIO GONZÁLEZ DE CARDEDAL ⁴²، 2010، 71-70.

⁴³ صلاة الملاك، 1 حزيران/يونيو 2008: L'Osservatore Romano عزيران/يونيو 2008، 1.

المنطلق، فإنّ القلب "رمز للمحبّة المتقّدة التي، إذا أفيضت في نفسه، صارت الموهبة الثّمينة في إرادته الإنسانيّة". وأخيرًا، القلب "رمز لحبّه الحِسِّي"⁴⁴.

66. إنّ هذا الحُبّ الثّلاثيّ ليس ثلاث طاقات منفصلة، تعمل بطريقة متوازية أو مستقلّة، بل تعمل وتعبِّر عن نفسها معًا في تدفُّق واحد مستمرّ للحياة: "في الواقع، في ضوء الإيمان، الذي به نؤمن أنّ الطّبيعة الإنسانيّة والإلهيّة متّحدتان في شخص المسيح – يصير عقلنا قادرًا على تصوّر الرّوابط الوثيقة جدًّا بين الحبّ الحسّي في قلب يسوع الجسديّ وحبّه الرّوحيّ، البشريّ والإلهيّي "45.

67. لذلك، بدخولنا في قلب المسيح، نشعر أثنا محبوبون، وأنّ قلبًا بشريًّا يُحِبُّنا، وهو مملوء بالمشاعر والعواطف مثلنا. إنّ إرادته البشريّة تريد أن تحِبَّنا بحرّيّة، وهذه الإرادة الرّوحيّة مستنيرة استنارة كاملة بالنّعمة والمحبّة. عندما نصل إلى أعماق ذلك القلب، يغمرنا مجد لا يقاس لحبّه غير المحدود، حبّ الابن الأزلى، والذي لم يَعُدْ بإمكاننا أن نفصله عن حبّه

44 بيوس التّاني عشر، رسالة بابويّة عامّة، تستقون المياه - 44 بيوس التّاني عشر، رسالة بابويّة عامّة، تستقون المياه 48 (1956)، Aquas، 15 أيّار /مايو 1956، II: أعهال الكرستي الرّسوليّ 48 (1956)، 328-327

⁴⁵ المرجع نفسه ، 28: أعمال الكرستي الرّسوليّ 48 (1956)، 344-343.

البشريّ. ففي حبِّه البشريّ، ومن دون الابتعاد عنه، نجد حبَّه الإلهتي: نجد "اللامحدود في المحدود"⁴⁶.

88. إنّ تعليم الكنيسة النّابت والنّهائي هو أنّ عبادتنا لشخصه هي عبادة واحدة وتشمل بما لا يقبل الانفصال طبيعته الإلهيّة وطبيعته البشريّة. علَّمت الكنيسة منذ العصور القديمة أنّه يجب "أن نعبد المسيح الواحد نفسه، ابن الله وابن الإنسان، في طبيعتين غير منفصلتين وغير منقسمَتين "47، وذلك "بعبادة واحدة [...]، لأنّ الكلمة صار بشرًا "48. لا يُعبَدُ المسيح بأيّ حال من الأحوال "في طبيعتين، فينشأ عن ذلك عبادتان"، بل "كلمة الله المتجسّد في جسده يُعبد عبادة واحدة "49.

⁴⁶ بندكتس السّادس عشر، صلاة الملاك، 1 حزيران/يونيو 2008: 31. 2008 - حزيران/يونيو 2008، 1. - حزيران/يونيو 2008

VIGILIO ⁴⁷ دستور، بين الهموم الكثيرة - VIGILIO ⁴⁷ .420 .420 (Denzinger-Hünermann)، 420.

⁴⁸ مجمع أفسس المسكوني، حرمان كيرلّس الإسكندري، 8: -Denzinger) (Denzinger. .8.

⁴⁹ مجمع *القسطنطينية الثاني* المسكوني، الجلسة VIII، 2 حزيران/يونيو 553، القانون 9: (*Denzinger-Hünermann*)، 181.

69. أراد القديس يوحنا الصليب أن يقول إنّ محبة المسيح القائم من الموت والتي لا تقاس ليست، في الخبرة الصوفية، غريبة عن حياتنا. اللامحدود يتنازل بطريقة ما، حتّى نقدر أن نعيش، في قلب المسيح المنفتح، لقاء حبّ متبادل حقيقي: "يمكن للعصفور الذي يطير على ارتفاع منخفض أن يمسك بالنّسر الذّهبي الذي يطير على ارتفاع عال، إذا انخفض النّسر وأراد أن يجعل العصفور يمسك به "50. ويضيف موضّعاً: "عندما يرى الزّوجة جريحة بحبّه، ويسمع أنينها، يصير هو أيضًا جريعًا بحبّها. لأنّ جرح الواحد بين المحبّين هو جرح الآخر وكلاهما لديه نفس الشّعور "51. يرى هذا الصّوفي في صورة أيضًا جريعًا بحبّها. لأنّ جرح الواحد بين المحبّين مع الرّب. وكلاهما لديه نفس الشّعور "51. يرى هذا الصّوفي في صورة جنب المسيح المطعون دعوة إلى الاتّحاد الكامل مع الرّب. هو الأيّل الجريح، وهو جريح منذ أن نسمح لحبّه بأن يؤثر فينا، ينزل إلى مجاري المياه ليروي عطشه، ويجد الرّاحة في فينا، ينزل إلى مجاري المياه ليروي عطشه، ويجد الرّاحة في

"ارجعي أيتها الحمامة لأنّ الأيّل الجريح يُطِلّ على أعلى التّلّة وفي نسيم تحليقك يتنسّم البُرُودَ"⁵².

أو القديس يوحنا الصليب، النّشيد الزوحي، A، المقطوعة 22، 4: الأعمال، روما 1979، 919.

⁵¹ المرجع نفسه، المقطوعة 12، 8: الأعمال المذكورة، 881.

⁵²/ لمرجع نفسه، المقطوعة 12، 1: 881.

آفاق ثالوثيّة

70. إنّ عبادة قلب يسوع هي عبادة كريستولوجيّة واضحة. إنّها تأمّل مباشر في المسيح الذي يدعو إلى الاتّحاد به. وهذا أمر مشروع إذا أخذنا بعين الاعتبار ما تقوله الرّسالة إلى العبرانيّين: أن نركض في سباقنا "مُحَدِّقينَ إلى مُبدِئِ إيمانِنا ومُتَمِّمِه، يسوع" (12، 2). ولكن، لا يمكننا أن نتجاهل أنّ يسوع، في الوقت نفسه، يقول لنا إنّه طريق للذّهاب إلى الآب: "أنا الطَّريقُ [...]. لا يَمْضِي أَحَدٌ إلى الآب ولهذا فإن بشارة الكنيسة، منذ البدء، لا تدعنا نتوقف عند يسوع المسيح، بل الكنيسة، منذ البدء، لا تدعنا نتوقف عند يسوع المسيح، بل تقودنا إلى الآب. وهو في النّهاية، ملء الوجود الذي يجب أن يُمجَّد. 53

71. لنركِّز، على سبيل المثال، على الرّسالة إلى أهل أفسس، حيث يمكننا أن نرى بوضوح أنّ عبادتنا موجَّهة نحو الآب: "لِهذا أَجْثو على رُكِبَّيَّ لِلآب" (أفسس 3، 14). "إلهٌ واحِدٌ أَبٌ لِجَميع الحَلْقِ وفوقَهم جَميعًا، يَعمَلُ بِهم جَميعًا وهو فيهم جَميعًا" (أفسس 4، 6). "اشكُروا الله الآب كُلَّ حينٍ على كُلِّ شَيء" (أفسس 5، 20). الآب هو الذي إليه نحن نسير

^{53 &}quot;فَلَيْسَ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَهُو الآب، مِنْهَ كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيْهُ نَحَنُ أَيضًا نَصِير" (1قورنتس 8، 6). "المَجْدُ للهِ أَبِينَا أَبْدَ الدُّهُورِ. آمين" (فَيلبي 4، 20). "تَبَارَكَ اللهُ أَبِ رَبِنا يسوعَ المسيح، أَبُو الرَّافَةِ وَإِلَّهُ كُلِّ عَزاء" (2 قورنتس 1، 3).

(راجع 1 قورنتس 8، 6). ولهذا قال القدّيس البابا يوحنّا بولسُ الثَّاني إنَّ "الحياة المسيحيّة كلّها هي بمثابة حَجّ كبير إلى ببت الآب"54. وهذا ما اختبره القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ في طريقه إلى الاستشهاد: "في داخلي ماءٌ حيٌّ يوَشوش ويقول لى: تعال إلى الآب!"⁵⁵.

72. إنّه أوّلًا وقبل كلّ شيء أبو يسوع المسيح: "تَباركَ اللهُ أَبُو رَبِّنا يسوعَ المسيح" (أفسس 1، 3). إنَّه "إلهُ رَبِّنا يسوعَ المسيح، أبو المَجْد" (أفسس 1، 17). عندما صار ابن الله إنسانًا، كانت كلّ رغبات وتطلّعات قلبه البشري موجَّهة إلى الآب. إن رأينا كيف كان المسيح يرجع دامًّا إلى الآب، يمكننا أن ندرك هذا الانجذاب في قلبه البشري، وهذا التوجه الكامل والدّائم نحو الآب. 56 قصّته على أرضنا هذه كانت رحلة يشعر فيها قلبه البشريّ بدعوة دامَّة للذّهاب إلى الآب.57

[.] Tertio millennio adveniente - مسالة بابويّة عامّة، في الألفيّة الشّاليّة - 54 رسالة بابويّة 10 تشرين الثّاني/نوفمبر 1994، 49: *أعمال الكرستي الرّسوليّ* 87 (1995)، 35. 55 رسالة إلى أهل رومة، 7: مجموعة المؤلَّفات لآباء الكنيسة اليونانيَّة 5، 694. 56 "يجب أن يَعرفَ العالَم أَنَّى أُحِبُّ الآب" (يوحنَّا 14، 31). "أَنا والآبُ واحِد" (يوحنّا 10، 30). "أنا في الآبِ والآب فيَّ" (راجع يوحنّا 14، 10). 57 "أمضى إلى الآب" (πρὸς τὸν πατέρα: يوحنّا 16، 28)؛ "أَنا ذاهِبٌ إليكَ" (πρὸς σὲ: يوحنّا 17، 11).

73. نعلَم أنّ الكلمة الآراميّة التي كان يخاطب بها الآب هي "أبّا" وتعني "أبتِ". وفي زمانه كان البعض ينزعج من هذه الألفة (راجع يوحنّا 5، 18). إنّه التّعبير الذي استخدمه يسوع للتّواصل مع الآب عندما ظهرت آلام الموت: "أبّا، يا أبَتِ! لِنّكَ على كُلِّ شَيءٍ قَدير، فَاصرِفْ عنّي هذِه الكأس. ولكِن لا ما أنا أشاء، بل ما أنت تشاء" (مرقس 14، 36). لقد اعترف دامًا أنّ الآب يحبّه: "لأنّك أحبَبْتني قبل إنشاء العالم" (يوحنّا دامًا أنّ الآب يعبّه: "لأنّك أحبَبْتني قبل إنشاء العالم" (يوحنّا عندما يسمع الآب يقول له: "أنت ابني الحبيب، عنك عندما يسمع الآب يقول له: "أنت ابني الحبيب، عنك رَضِيْت" (مرقس 1، 11).

74. يقول الإنجيل الرّابع إنّ ابن الآب الأزليّ كان دامًا "في حِضْنِ الآب" (يوحنّا 1، 18)⁵⁸. ويؤكّد القدّيس إيرينيوس أنّ "ابن الله كان دامًا في حضرة الآب"⁵⁹. ويؤكّد أوريجانس أنّ الابن "مستمرَّ في التّأمّل المتواصل في الهُوّة الأبويّة "⁶⁰. ولهذا السّبب، عندما صار الابن إنسانًا، كان يقضي الليالٍ في الصّلاة مع الآب الحبيب على قمّة الجبل (راجع لوقا 6، 12). الله قال: "يَجِبُ عَلَيَّ أَن أَكُونَ عِندَ أَبِي" (لوقا 2، 49). ولننظُرْ إلى يسوع يسبِّح الآب: "بَهَلّلَ بِدافِع مِنَ الرُّوحِ القُدُس فقال:

^{.&}quot;εἰς τὸν κόλπον τοῦ πατρὸς" 58

⁹⁹ الرّد على الهراطقة III، 18، 11: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 7، 923. 60 في *إنجيل يوحنّا* II، 2: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 14، 110.

أَحَمَدُكَ يَا أَبْتِ، رَبَّ السَّمَاءِ والأَرض" (لوقا 10، 21). وكانت كلماته الأخيرة، المملوءة بالثقة: "يا أَبْتِ، فِي يَدَيْكَ أَجعَلُ رُوحِي" (لوقا 23، 46).

75. لنوجّه نظرنا الآن إلى الرّوح القدس الذي يملأ قلب المسيح ويضطرم فيه. لأنّ قلب يسوع، كما قال القدّيس البابا يوحنّا بولس النّاني، هو "تحفة الرّوح القدس حيِّ في قلب مجرّد شيء من الماضي، لأنّ "عمل الرّوح القدس حيِّ في قلب المسيح، وقد نسب يسوع إليه إلهام رسالته (راجع لوقا 4، المسيح، وقد نسب يسوع إليه إلهام رسالته (راجع لوقا 4، المسيح الذي يساعدنا على فهم غنى الرّمز في جنب المسيح الرّوح الذي يساعدنا على فهم غنى الرّمز في جنب المسيح المطعون، الذي ولدت منه الكنيسة (راجع دستور في الليتورجيّا المقدّسة، المجمع المقدّس، 5)"62. وبالإيجاز، "الرّوح القدس وحده يستطيع أن يفتح أمامنا ملء "الإنسان القدس وحده يستطيع أن يفتح أمامنا ملء "الإنسان

61 صلاة الملاك، 23 حزيران /يونيو 2002: L'Osservatore Romano. 2002. 2002 حزيران /يونيو 2002، 1.

⁶² القدّيس يوحنّا بولس النّاني، رسالة في الدِّكرى المئويّة لتكريس الجنس البشريّ لقلب يسوع الأقدس، وارسو، 11 حزيران/يونيو 1999، في الاحتفال بعيد قلب يسوع الأقدس: L'Osservatore Romano، 12 حزيران/يونيو 1999، 5.

الدّاخليّ"، الذي في قلب المسيح. وهو وحده القادر على نقل قوة هذا الامتلاء تدريجيًا إلى قلوبنا البشريّة"63.

76. إذا حاولنا أن نتعمّق في سرّ عمل الرّوح، نرى أنّه يئنُّ فينا، ويقول "أبًا"، "والدَّليلُ على كَونِكُمُ أَبناء أَنَّ اللّهَ أَرسَلَ رُوحَ ابنِه إلى قُلوبِنا، الرُّوحَ الَّذي يُنادي: أَبًّا، يا أَبتِ" (غلاطية 4، 6). في الواقع "وهذا الرُّوحُ نَفْسُه يَشْهَدُ مع أَرواحِنا بِأَنّنا أَبناءُ الله" (رومة 8، 16). إنّ عمل الرّوح القدس في قلب المسيح البشريّ يؤدي باستمرار إلى هذا الانجذاب نحو الآب. وعندما يوحِدنا مع مشاعر المسيح بالنّعمة، فهو يجعلنا شركاء في علاقة الابن مع الآب، وهو "روحَ تَبَنٍّ بِه يُنادي: أَبًا، يا أَبَتِ!" (رومة 8، 15).

77. تتحوَّل علاقتنا مع قلب المسيح، بدافع الرّوح الذي يوجِّمنا نحو الآب، مصدر الحياة وأصل النّعمة. المسيح نفسه لا يريد أن نتوقّف عنده فقط. محبّة المسيح هي "وَحْيُ رحمةِ الآب"⁶⁴. ورغبته هي أن نذهب، مدفوعين بالرّوح المتدفّق

⁶³ المؤلّف نفسه، صلاة الملاك، 8 حزيران/يونيو 1986، 4: L'Osservatore و المؤلّف نفسه، صلاة الملاك، 8 حزيران/يونيو 1986، 5.

⁶⁴ عظة ، زيارة مستشفى Gemelli وكليّة الطّب في جامعة القلب الأقدس الكاثوليكيّة ، 27 حزيران/يونيو 2014: 120 A'Osservatore Romano حزيران/يونيو 2014، 7.

من قلبه، "معه وفيه" إلى الآب. فالمجد موجه إلى الآب "بالمسيح" 65، و"مع المسيح" 66، و"في المسيح" 65، علم القديس البابا يوحنا بولس الثاني أنّ "قلب المخلّص يدعونا إلى العودة إلى محبّة الآب، التي هي ينبوع كلّ محبّة حقيقية "68، هذا هو الروح القدس، الآتي إلينا من قلب المسيح، والذي يريد أن يغذّيه في قلوبنا. ولهذا، تتّجه الليتورجيّا دامًا، بقوة عمل الروح المحبي، إلى الآب، من قلب المسيح القائم من الموت.

تعليات السلطة الكنسية الأخيرة

78. كان قلب المسيح حاضرًا بطرق مختلفة في تاريخ الروحانية المسيحية. ظهر في الكتاب المقدّس وفي القرون الأولى للكنيسة في صورة جنب الرّب المجروح، كمصدر للتعمة ونداء للقاء محبّة حميم. وهكذا ظهر باستمرار في شهادة قدّيسين كثيرين حتّى يومنا هذا. في القرون الأخيرة، صارت هذه الرّوحانية عبادة حقيقية لقلب الرّب.

⁶⁵ أفسس 1، 5، 7؛ 2، 18؛ 3، 12.

⁶⁶ أفسس 2، 5. 6؛ 4، 15.

⁶⁷ أفسس 1، 3. 4. 6. 7. 11. 13. 15؛ 2، 10. 13. 12. 22؛ 3، 6. 11. 12.

⁶⁸ رسالة في الذكرى المئويّة لتكريس الجنس البشريّ لقلب يسوع الأقدس، وارسو، 11 حزيران/يونيو 1999، في الاحتفال بعيد قلب يسوع الأقدس: L'Osservatore Romano عزيران/يونيو 1999، 5.

79. أشار البعض من أسلافي إلى قلب المسيح ودعَوْننا للانضام إليه بتعابير مختلفة جدًّا. في نهاية القرن التّاسع عشر، دعانا لاون الثّالث عشر إلى تكريس أنفسنا له، وفي ندائه، جمع في الوقت نفسه بين الدّعوة إلى الاتّحاد بالمسيح والاندهاش أمام بهاء حبّه غير المحدود. 69 وبعد ثلاثين سنة تقريبًا، قدَّم بيوس الحادي عشر هذه العبادة على أنّها خلاصة للإيمان المسيحيّ. 70 علاوة على ذلك، أكّد بيوس الثّاني عشر منادة القلب الأقدس تعبّر بطريقة ممتازة، في خلاصة سامية، عن عبادتنا ليسوع المسيح.

^{99 &}quot;بما أنّ القلب الأقدس هو رمز وصورة حسّية لحبّ يسوع المسيح غير المحدود الذي يدفعنا إلى أن نحِبَّ بعضنا بعضًا، فمن المناسب والملائم أن نكرِس أفسنا لقلبه الأقدس، أي أن نقدِم ذاتنا، وأن نتَّحد بيسوع المسيح [...]. وعلامة أخرى أمام عيوننا اليوم، في روعة الجمال والألوهية: قلب يسوع الأقدس على الصّليب، يسطع بين النيران، بهاء رائع. ففيه نضع كلّ الآمال، وفيه نطلب ونرجو خلاص البشر" (رسالة بابوية عامّة، السّنة المقدّسة - Annum وزجو خلاص البشر" (رسالة بابوية عامّة، السّنة المقدّسة - 1898 محددسسة على الرسولي 31 [1898]، 649؛ 659).

⁷⁰ "في هذه العلامة المجيدة، وفي هذا التعبّد التاجم عنها، أليس صحيحًا أنّ هذه العبادة تحتوي كلّ الدّيانة، وهي أكمل قاعدة للحياة، وتقود الرّوح بسرعة إلى معرفة المسيح الحميمة، وتدفعه إلى محبّة شديدة له وإلى الاقتداء به بصورة فعّالة" رسالة بابويّة عامّة، الفادي الحجزيل الرّحمة - Miserentissimus Redemptor ، 8 أعال الكرستي الرّسوليّ 20 (1928)، 167.

⁷¹ 'إنّه عمل عبادة بامتياز، أي إنّه الإرادة الكاملة والمطلقة لتسليم أنفسنا وتكريسها لحبّ الفادي الإلهتي، والرّمز والعلامة الحيّة لهذه العبادة هو قلبه المطعون [...]، فيه نقدر أن نرى ليس فقط الرّمز، ولكن أيضًا، بطريقة ما، خلاصة كلّ سرّ

80. ومؤخّرًا، قدّم القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني تطوّر هذه العبادة في القرون الماضية كردة فعل على نمُوّ طرق الرّوحانيّة المتزمِّنة، وكأنّ المؤمن لا جسد له، وقد نسى رحمة الله، وهذه العبادة هي في الوقت نفسه نداء معاصر إلى عالم ِ يحاول أن يبني نفسه بدون الله: "إنّ عبادة القلب الأقدس، كما تطوّرت في أوروبا منذ قرنين من الزّمن، تحت تأثير الخيرة الصّوفيّة للقدّيسة مارغريتا مريم ألاكوك (Margherita Maria Alacocque)، كانت بمثابة الرّد على تزمّت أتباع جانسينيوس، الذي أدّى به الأمر إلى جمل رحمة الله غير المحدودة. [...] يحتاج إنسان عام 2000 إلى قلب المسيح ليعرف الله وليعرف نفسه، إنّه يحتاج إليه لبناء حضارة المحتة "72".

81. البابا بنديكتس السادس عشر دعانا إلى أن نرى في قلب المسيح حضورًا حميمًا كلّ يوم في حياة كلّ واحد وواحدة: "كلّ شخص يجب أن يكون لحياته محور ومصدر حقيقة

فدائنا [...]. أظهر يسوع المسيح قلبه، مرارًا كثيرة وبوضوح، أنّه الرّمز الأنسب لتحفيز النّاس لمعرفة وقبول حبّه، وقد جعله في الوقت نفسه علامةً وعربونًا لرحمته ونعمته لاحتياجات الكنيسة الرّوحيّة في الأزمنة الحديثة" (رسالة بابويّة عامّة، تستقون المياه - Haurietis Aquas، 15 أيّار /مايو 1956، مقدّمة، III، III، مقدّمة أعال الكرسي الرّسولي 48 (1956)، 311؛ 336؛ 340).

⁷² التّعليم المسيحتى أثناء المقابلة العامّة، 8 حزيران/يونيو 1994، 2: L'Osservatore Romano، وحزيران/يونيو 1994، 5.

وصلاح يستمد منه قوة لمواجهة مختلف الحالات، ومتاعب الحياة اليومية. كل واحد منا، إذا صمت، يحتاج إلى سماع ليس فقط خفقات قلبه، بل أيضًا، ما هو أعمق، إلى خفقان حضور يثق به، يمكن إدراكه بحواس الإيمان، وما هو أكثر واقعية: حضور المسيح، قلب العالم "73.

تحليل متعمق والأوضاع الرّاهنة

82. إنّ الصورة المعبّرة والرّمزيّة لقلب المسيح ليست الوسيلة الوحيدة التي يعطينا إياها الرّوح القدس لنجد محبّة المسيح، وهي تحتاج دامًا إلى مزيد من التوضيح والتور والتّجديد، بالتّأمّل وقراءة الإنجيل والنّضج الرّوحي. سبق البابا بيوس الثّاني عشر وقال إنّ الكنيسة لا تدَّعي "أنّها ترى وتسجد في قلب يسوع، للصّورة الرّسميّة والكاملة للحبّ الإلهتي الذي ترمز إليه الصّورة، لأنّه ليس من المكن التّعبير تعبيرًا مناسبًا عن الجوهر الحميم، لهذا الحبّ في صورة مخلوقة "74.

⁷³ص*لاة الملاك،* 1 حزيران/يونيو 2008: L'Osservatore Romano ، 2- 2. 3 حزيران/يونيو 2008، 1.

رسالة بابوية عامة، تستقون المياه - Haurietis Aquas، 15 أيّار /مايو
 الكرستي الترسولي 48 (1956)، 344.

83. إنّ عبادة قلب المسيح ضروريّة لحياتنا المسيحيّة لأنّها تعني انفتاحنا المليء بالإيمان والسّجود على سِرّ محبّة المسيح الإلهيّة والإنسانيّة، لدرجة أنّنا نستطيع أن نؤكّد مرّة أخرى أنّ القلب الأقدس هو ملخّصٌ للإنجيل. 75 يجب أن نذكر أنّ التروى أو الطّواهر الصّوفيّة التي يرويها بعض القدّيسين الذين اقترحوا بشغف كبير عبادة قلب يسوع، ليست موضوعًا يجب على المؤمنين تصديقه كما لو كانت هذه الرّؤى والطّواهر كلمة الله. 76 فهي محفّزات جميلة يمكن أن تحفّزنا وتحملنا على أعمال تقوى جيّدة جدًّا، لكن يجب ألّا يشعر أحد بأنّه مضطرٌ إلى استخدامها، إن لم يجد فيها ما يساعده في مسيرته الرّوحيّة. ويجب أن نذكر دامًًا، كما قال البابا بيوس النّاني عشر، أنّه لا يمكن القول إنّ هذه العبادة "يعود أصلها إلى وحي خاص "77.

84. إنّ اقتراح المناولة الإفخارستيّة في أوّل جمعة من كلّ شهر، مثلًا، كان رسالة قويّة في وقت توقّف فيه كثير من النّاس عن التّقدّم إلى المناولة لأنّهم لم يكونوا واثقين بالمغفرة الإلهيّة،

⁷⁵ راجع المرجع نفسه: أعهال الكرستي الترسولي 48 (1956)، 336.

⁷⁶ "قيمة أحداث الوحي الحاص تختلف جوهريًّا عن الوحي الوحيد العام: هذا الوحي يقتضي إيماننا [...]. الوحي الحاص [...] هو عون مقدّم، لكن استخدامه ليس إلزاميًّا" بندكتس السّادس عشر، الإرشاد الرّسوليّ، كلمة الله، 30 أيلول/سبتمبر 2010، 14: *أعمال الكرستي الرّسوليّ* 102 (2010)، 696.

⁷⁷ رسالة بابويّة عامّة، *تستقون المياه - Haurietis Aquas،* 15 أيّار /مايو 1956، IV: *أعبال الكرستي الرّسوليّ* 48 (1956)، 340.

وبرحمته، وكانوا يعتبرون المناولة مثل مكافأة للكاملين. في هذه البيئة الجانسينية، أدّى الترويج لهذه المارسة إلى خير كبير، حيث ساعد على الاعتراف في الإفخارستيا بحبّ قلب المسيح المجاني والقريب منّا، والذي يدعونا إلى الاتّحاد به. ويمكن أن نؤكّد أنّ هذه المارسة تصنع لنا خيرًا كبيرًا لسبب آخر: لأنّنا في خِضَم دوّامة العالم الحالي وطلبنا المهووس لوقت الفراغ والاستهلاك واللهو والهواتف المحمولة ووسائل التواصل الاجتاعيّ، ننسى أن نغذّي حياتنا بقوّة القربان الأقدس.

85. كذلك يجب ألّا يشعر أحد بأنّه مجبر على إقامة ساعة سعود كلّ يوم خميس. ولكتنا نوصي به. عندما يقوم شخص بهذه المارسة بحرارة، مع عدد من الإخوة والأخوات، ويجد في الإفخارستيّا كلّ حبّ قلب المسيح، "فإنّه يسجد مع الكنيسة للرّمز والصّورة للمحبّة الإلهيّة، التي جاءت لتحِبّ أيضًا الجنس البشريّ، بقلب الكلمة المتجبّد"⁷⁸.

86. كان هذا أمرًا يصعب فهمه للعديد من الجانسينيين، الذين كانوا ينظرون بازدراء إلى كلّ ما هو إنساني وعاطفي وجسدي، وبعبارة أخرى اعتبروا أنّ هذه العبادة كانت تبعدنا عن أنقى العبادات لله العلى. قال بيوس الثّاني عشر إنّها

⁷⁸ المرجع نفسه: أعال الكرستي الرّسوليّ 48 (1956)، 344.

"الصّوفيّة المزيّقة"⁷⁹ وهي موقف نخبويّ لبعض المجموعات التي كانت ترى الله عاليًا جدًّا ومنفصلًا جدًّا وبعيدًا جدًّا، وتوصّلوا إلى القول إنّ هذه المارسات الحسّيّة للتقوى الشّعبيّة خطيرة وبحاجة إلى مراقبة الكنسية.

78. يمكن القول إنّنا نواجه اليوم، أكثر من أيّام الجانسينية، تقدّمًا شديدًا في العلمنة التي تطمح إلى عالم خالٍ من الله. علاوة على ذلك، كَثُرت في المجتمع أشكال مختلفة من التّدين لا مرجعيّة فيها إلى الله، ولا علاقة شخصيّة مع إله يحبّ، وهذه مظاهر جديدة لـ "روحانيّة بلا جسد". هذا صحيح. ومع ذلك، يجب أن أوضّح أنّ النّنائيّة الجانسينيّة الضّارّة ظهرت في الكنيسة من جديد بأوجه جديدة، وجاءت بقوّة جديدة في العقود الأخيرة. لكنّها مظهر من مظاهر الغنوصيّة التي ألحقت ضررًا بالحياة الرّوحيّة في القرون الأولى للإيمان المسيحيّ، وتجاهلت حقيقة "خلاص الجسد". لهذا أنظر إلى قلب المسيح وأدعو إلى تجديد هذه العبادة. وآمل أن تمكّن هذه العبادة من أن تجذبنا إلى حساسيّات اليوم أيضًا، وبهذه الطريقة تساعدنا لمواجهة هذه الثّنائيّات القديمة والجديدة التي تقدّم لها هذه العبادة الجواب المناسب.

⁷⁹ المرجع نفسه.

88. أود أن أضيف أن قلب المسيح يحرِّرُنا في الوقت نفسه من ثنائية أخرى: ثنائية الجماعات والرّعاة الذين يركِّزون فقط على الأنشطة الخارجيّة، والإصلاحات الهيكليّة الخالية من الإنجيل، والمنظمّات الضّاغطة على غيرها، والمشاريع الدّنيويّة، والأفكار العلمانيّة، والمقترحات المختلفة التي تقدَّم لنا كأنّها ضروريّة ويجب فرضها على الجميع. ينجم عن هذا مرارًا مسيحيّة تنسى حنان الإيمان، وفرح التفاني في الحدمة، وحماسة نقل الرّسالة من شخص إلى آخر، وإدراك جمال المسيح، والشّكر البالغ للصّداقة التي يقدِّمُها، وللمعنى النّهائي التي تعطيه للحياة الشّخصيّة. باختصار، إنّه شكل آخر من أشكال الفلسفة المتعالية الخادعة، وهي أيضًا بلا جسد.

89. هذه الأمراض الحالية، التي، إذا سمحنا لأنفسنا بالوقوع فيها، لا نشعر حتى بالرّغبة في الشّفاء منها، تدفعني إلى أن أقترح على الكنيسة جمعاء تعمّقًا جديدًا في حُبِّ المسيح الممتثِّل في قلبه الأقدس. هنا نقدر أن نجد الإنجيل كلّه، وهنا ملخَّص الحقيقة التي نؤمن بها، وهنا ما نسجد له وما نسعى إليه في الإيمان، وما نحتاج إليه بشدّة.

90. أمام قلب المسيح، يمكن العودة إلى خلاصة الإنجيل المتجسِّد، وإلى عيش ما اقترحْتُه قبل قليل، متذكّرا القدّيسة تريزا الطّفل يسوع العزيزة: "الموقف الأنسب هو أن نضع ثقة القلب خارج أنفسنا: في الرّحمة غير المحدودة لإله يحِبُّ بلا

حدود، والذي أعطانا كلّ شيء على صليب يسوع"80. عاشتها تريزا بصورة مكتّفة لأنّها اكتشفت في قلب المسيح أنّ الله محبّة: "أعطاني رحمته غير المحدودة، وفيها أتأمّل وأسجد لسائر الكهالات الإلهيّة"81. ولهذا السّبب فإنّ الصّلاة الأكثر شعبيّة، والموجّهة مثل السّهم إلى قلب المسيح، تقول ببساطة: "أثق بك"28. ولا حاجة لكلام آخر.

91. في الفصول التالية سنسلِط الضّوء على جانبيْن أساسيّيْن يجب أن تجمع بينها اليوم عبادة القلب الأقدس لمواصلة تغذيتنا وتقريبنا من الإنجيل: الخبرة الرّوحيّة الشّخصيّة والترام حياة الجماعة وحياة الرّسالة.

80 الإرشاد الرّسوليّ، النّقة فقط، 15 تشرين الأوّل/أكتوبر 2023، 20: 15 تشرين الأوّل/أكتوبر 2023.

⁸¹ القدّيسة تريزا الطّفل يسوع من ليزيو، المخطوط A، °83v. *الأعبال الكاملة،* روما 1997، 209.

⁸² القدّيسة ماريًا فوستينا كُوالسكا، *اليوميّات. الرّحة الإلهيّة في نَفسِي* (الدّفتر الأوّل، 22 شباط/فيراير 1931)، حاضرة الفاتيكان 2021، 74.

الفصل الرّابع الحبّ الذي يعطيك لتشرب

92. لِنَعُدْ إلى الكتب المقدّسة، إلى التصوص الملهمة التي هي المكان الرئيسيّ الذي نجد فيه الوحيّ. فيها وفي تقليد الكنيسة الحيّ نجد ما أراد الله نفسه أن يقول لنا عبر التاريخ. ومن قراءة نصوص العهدَين القديم والجديد، سنجمع بعضًا من آثار كلمة الله في المسيرة الرّوحيّة الطّويلة لشّعب الله.

عطش إلى محبّة الله

93. يُظهِر الكتاب المقدّس أنّ الله وعد الشّعب الذي سَارَ في الصّحراء وكان ينتظر التّحرير، بمياه غزيرة منعشة: "وتستقونَ المِياة مِن يَنابيعَ الحَلاصِ مُبتَهِجِين" (أشعيا 12، 3). استخدمت النّبؤات المسيحانيّة صورة ينبوع الماء المطهِر: "وأَرُشُ عليكم ماءً طاهِرًا، فتَطهُرونَ [...] وأَجعَلُ في أَحْشاءِكم روحًا جَديدًا" (حزقيال 36، 25– 26). إنّه الماء الذي سيعيد إلى الشّعب الحياة الكاملة، مثل الينبوع الذي يتدفّق من الهيكل ويوجد في مجراه الحياة والصّحة: "إذا على شاطئ النّهرِ الشُعِلُ ركشيرةٌ جِدًّا مِن هُنا ومِن هُناك. [...] وكُلّ نَفْسِ حيَةٍ تَدِبُّ حَيثُ يَلغُ مَجْرى النّهرِ تَحْيا [...]، لأَنَّ هذه المِياة تَبلغُ إلَيه النّهرُ يَحْيا" (حزقيال إلى هُناكَ وتُصبِحُ طَيِّبَة، فكُلُّ ما يَبلغُ إلَيه النّهرُ يَحْيا" (حزقيال 26، 7، 9).

94. عيد العرش عند اليهود (السُّكُّوت)، الذي يحتفل بذكرى أربعين سنة في الصّحراء، اتّخذ تدريجيًّا رمز الماء كعنصر أساسيّ، وصار فيه طقس تقديم الماء كلّ صباح، وكان هذا الطّقس يصير احتفالًا كبيرًا جدًّا في آخر يوم من العيد: فيسيرون في تطواف كبير إلى الهيكل حيث، يطوفون سبع مرّات حول المذبح، ثمّ يقدَّم الماء لله وسط ضجيج كبير. 83

95. ثمّ جاء إعلان مجيء الرّمن المسيحانيّ في صورة الينبوع المتدفّق للشّعب: "وأَفيضُ على بَيتِ داؤدَ وعلى سُكَّانِ أُورَشَليمَ روحَ النِّعمَةِ والتَّصَرُّعات، فيَنظُرونَ إِلَيَّ، إِلَى الَّذي طَعنوه [...] في ذلك اليّوم، يكون ينبوعٌ مَفْتوحٌ لِبَيتِ داؤدَ ولِسُكَّانِ أُورَشَليم، لِلخَطيئةِ والرِّجْس" (زكريًا 12، 10؛ 13، ولِسُكَّانِ أُورَشَليم، لِلخَطيئةِ والرِّجْس" (زكريًا 12، 10؛ 13).

96. إنسانٌ مطعون، وينبوع مفتوح، وروح نعمة وصلاة. لقد رأى المسيحيّون الأوّلون بشكلٍ واضح أنّ هذا الوعد قد تحقّق في جنب المسيح المفتوح، وهو الينبوع الذي تأتي منه الحياة الجديدة. نرى في إنجيل يوحنّا أنّ هذه النّبوءة تحقّقت في المسيح. نتأمّل في جنبه المفتوح، الذي منه يتدفّق ماء الرّوح: "لكنّ واحِدًا مِنَ الجُنودِ طَعَنه بِحَربةٍ في جَنبِه، فحرّجَ لِوَقتِه دَمٌ وماء" (يوحنّا 19، 34). ثمّ يضيف الإنجيليّ: "فَيَنظُرُونَ إلى وماء" (يوحنّا 19، 34). ثمّ يضيف الإنجيليّ: "فَيَنظُرُونَ إلى

⁸³ راجع *المشنا ، سُكَّة IV*، 5. 9.

الَّذِي طَعَنُوهُ" (يوحنّا 19، 37). فهو يتابع نبؤة النّبي الذي وعد الشّعب بينبوع مفتوح في أورشليم، عندما يوجِّمون نظرهم إلى المطعون (راجع زكريا 12، 10). الينبوع المفتوح هو جنب يسوع الجريح.

97. نلاحظ أنّ الإنجيل نفسه أعلن عن هذه اللحظة المقدّسة، في "آخِرِ يَومٍ مِنَ العيد"، عيد العرش (يوحنّا 7، 37). إذّاك وقفَ يسوع ورفعَ صوته قال للشّعب المحتفل بالتطواف الكبير: "إن عَطِشَ أَحَدٌ فليُقبِلْ إِلَيَّ، ومَن آمنَ بي فَلْيَشَرِبْ [...] ستَجْري مِن جَوفِه أَنهارٌ مِنَ الماءِ الحَيّ" (يوحنّا 7، 37—ستَجْري مِن جَوفِه أَنهارٌ مِنَ الماءِ الحَيّ" (يوحنّا 7، 37—38). وليتمَّ ذلك، كان لا بدّ من أن تأتي "ساعته"، لأنّ يسوع "لم يكن قد تمجّد بعد" (يوحنّا 7، 39). وتَمَّ كلّ شيء في ينبوع الصّليب المتدقّق.

98. في سفر الرّؤيا، يظهر المطعون من جديد: "ستَراه كُلُّ عَينٍ حَتَّى الَّذِينَ طَعَنوه" (رؤيا يوحنّا 1، 7)، والينبوع المفتوح: "ومَن كَانَ عَطْشانَ فَلْيَاتِ، ومَن شاءَ فَلْيَستَقِ ماءَ الحَياةِ مَجَّانًا" (رؤيا يوحنّا 22، 17).

99. الجنب المطعون هو في الوقت نفسه عرش المحبّة، المحبّة التي أعلنها الله لشعبه بكلمات كثيرة ومختلفة تستحق أن تُذكّر: "صِرتَ كَرِيمًا في عَينَيَّ، ومَجيدًا فإنِّي أَحبَبتُكَ" (أشعبا 43، 4).

"أَتَنْسَى الْمَرَأَةُ رَضِيعَها، فلا تَرحَمُ آبِنَ بَطْنِها؟ حتَّى ولَو نَسَيَتِ النِّسَاءُ، فأَنا لا أَنْسَاك. هاءَنذا على كَفَّيَّ نَفَشْتُك" (أشعيا 49، 16-15).

"وإنِ ابتَعَدَتِ الجِبالُ وتَزَعزَعَتِ التِّلال، فإنَّ رَأْفَتي لن تَبتَعِدَ عنك، وعَهدَ سَلامي لن يَتَزَعزَع" (أشعيا 54، 10).

"أَحبَبَتُك حُبًّا أَبَدِيًّا، فلِذلك اجتَذَبَتُك بِرَحَمَة" (إرميا 31، 3). "في وَسَطِكِ الرَّبُّ إِلهُكِ، الجَبَّارُ الَّذي يُخَلِّص، ويُسَرُّ بِك فرَحًا، ويُجَرِّدُك بِمَحَبَّتِه، ويَبتَهِجُ بِك بِالتَّهْليل" (صفنيا 3، 17).

100. يذهب التبي هوشع إلى أبعد من ذلك فيتكلّم على قلب الله: "بِحِبالِ البَشرِ، بِرَوابِطِ الحُبِّ اجتَذَبَهُم" (هوشع 11، 4). وبسبب هذا الحبّ المزدرَى استطاع أن يقول: "قدِ انقَلَبَ فَوَّادي، واضطَرَمَت أَحْشائي" (هوشع 11، 8). لكن ستنتصر الرّحمة دامًا (راجع هوشع 11، 9)، وستبلغ أقصى تعبير لها في المسيح، كلمة الحجبة النهائية.

101. في قلب المسيح المطعون، تتجمّع كلّ تعابير المحبّة في الكتب المقدّسة، المكتوبة في الجسد. فهو ليس حبًا معلمًا بصورة هيّنة، بل جنبُه المفتوح هو ينبوع الحياة لجميع الذين يحبّهم، وهو الينبوع الذي يروي عطش شعبه. وكما علم القدّيس البابا يوحتًا بولس التّاني، "إنّ العناصر الأساسيّة لهذه العبادة تنتمي، بشكل دائم، إلى روحانيّة الكنيسة عبر

تاريخها، لأنّ الكنيسة، منذ البداية، وجَّمت نظرها إلى قلب المسيح المطعون على الصّليب"84.

أصداء الكلمة في التاريخ

102. لننظر في بعض التتائج التي أحدثها كلمة الله هذه في تاريخ الإيمان المسيحيّ. ذكر العديد من آباء الكنيسة، ولا سيّا مِن آسيا الصّغرى، أنّ الجرح في جنب يسوع هو أصل الماء المتدفّق من الرّوح: من الكلمة ومن نعمة الكلمة ومن الأسرار التي توصِّلُها. قوّة الشّهداء تنبع من "الينبوع السّاويّ، ينبوع الماء الحيّ المتدفّق من أحشاء المسيح "85، أو كما ترجم روفينوس (Rufinus) من "الينابيع السّاويّة الأبديّة المتدفّقة من أحشاء المسيح "86. نحن المؤمنين المولودين ثانية من الرّوح، أتينا من مغارة تلك الصّخرة، "خرَجْنا من قلب المسيح "87. وجنبه الجريح، الذي نرى فيه قلبه، مليء بالرّوح القدس وتأتينا منه أنهار الماء الحيّ: "ينبوع الرّوح كلّه في القدس وتأتينا منه أنهار الماء الحيّ: "ينبوع الرّوح كلّه في

44 رسالة إلى الأب بيتر هانس كولفنباخ (Peter-Hans Kolvenbach)، الرئيس العام للترهبنة اليسوعيّة، فرنسا، 5 تشرين الأوّل/أكتوبر 1986: L'Osservatore Romano، 7 تشرين الأوّل/أكتوبر 1986، IX.

⁸⁵ أ*علل شُهداء ليون*، في يوسابيوس من القيصريّة، ت*اريخ الكنيسة*، V، 1، 22: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 20، 418.

⁸⁶ RUFINUS, V, 1, 22 in GCS, Eusebius II, 1, p. 411, 13s.
.787. القديس يوستينس، الحوار 135: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونائية 6، 787.

المسيح "88. والروح الذي نقبله لا يبعدنا عن الرّب القائم من الموت، بل يملأنا به، لأنّنا إذا ارتوينا من الروح ارتوينا من المسيح نفسه: "اشرب من المسيح، فهو الصّخرة التي توزّع الماء. اشرب من المسيح فهو ينبوع الحياة. اشرب من المسيح فهو النّهر الذي تفرّح قوّته مدينة الله. اشرب من المسيح، فهو السّلام. اشرب من المسيح فمن قلبه تتدفّق مياه الحياة "89.

103. كان القدّيس أغسطينس رائدًا في عبادة قلب يسوع الأقدس، كمكان لقاء شخصيّ مع الرّبّ. بالنّسبة له، قلب المسيح ليس فقط مصدر النّعمة والأسرار، بل هو شخص، وقلبه رمز للاتّحاد الحميم مع المسيح، ولقاء المحبّة. وفيه يكمن أصل الحكمة الكبرى التي هي معرفته. في الواقع، كتب أغسطينس أنّ يوحنّا الحبيب الذي أمال رأسه إلى صدر يسوع في العشاء الأخير، واقترب من مكان الحكمة السّرّي. وهي معرفته من مكان الحكمة السّرّي. واقترب من مكان الحكمة السّرّي.

NOVAZIANO ⁸⁸، في القالوث، 29: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 3. Novaziano ، في القالوث، و2: مجموعة المؤلّفات أوريجانس 3. 944. راجع القدّيس غريغوريوس من إلفيرا (Elvira)، *مؤلّفات أوريجانس*

في أسفار الكتاب المقدّس، XX، 12: مجموعة المؤلّفين المسيحتين السلسلة اللاتينيّة (CCSL) 69، 144.

⁸⁹ القدّيس أمبروزيوس، ش*روحات في المزامير I*، 33: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 14، 983-984.

⁹⁰ راجع *مؤلّفات في إنجيل يوحنًا*، 61، 6: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتبنتة 35، 1801.

لسنا أمام فكر نظريِّ بسيط في حقيقة لاهوتية. قال القديس إيرونيمس إنّ الإنسان القادر على التَّأمَّل "لا يتمَتَّع بجمال مجرى الماء، بل يشرب الماء الحيّ من جنب الرّبّ"⁹¹.

104. عاد القديس برناردس إلى رمزية جنب الرّب المطعون، ورأى فيه بصراحة كشفًا وعطية لمحبّة قلبه. من خلال الجرح، يصبح في متناولنا ويمكننا أن نجعل سرّ المحبّة والرّحمة العظيم سرًّا فينا: "إنّني آخذ من قلب الرّب ما ينقصني، لأنّه مليء بالرّحمة، وفيه ثغرات كثيرة تنزل منها الرّحمة وتَصِل إليّ. لقد ثقبوا يديه ورجليه، وطعنوا جنبه بحربة، ومن هذه الفتحات أستطيع أن أرتشف العسل من الصّخرة والزّيت من الحجر الصّلب، أي أتذوّق وأرى ما أعذب الرّب. [...] الحديد نفسه واقترب من قلبه، فهو لا يقدر بعد ذلك أن لا يشفق على ضعفي. جراح الجسد فتحت الباب إلى سرّ قلبه، وظهر السّر ضعفي. جراح الجسد فتحت الباب إلى سرّ قلبه، وظهر السّر الكبير والعلامة للرّحمة، وظهرت أحشاء رحمة إلهنا"92.

⁹¹ *الرّسالة إلى روفينو (Rufinum)* 3، 4. 3: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاسنة 22، 334.

⁹² *العظة في نشيد الأناشيد* 61، 4: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 183، 1072.

105. يظهر هذا الفكر بصورة خاصة في كتابات ويليام دي سان تيري (Guglielmo di Saint-Thierry)، الذي يعدّينا إلى أن ندخل في قلب يسوع، الذي يغدّينا في قلبه. وهذا ليس بغريب، إذا تذكّرنا أنّه بالنسبة لهذا المؤلّف "فنّ الفنون هو فنّ الحبّ [...] والحبّ يعطيه خالق الطبيعة. الحبّ هو قوّة الرّوح، وهو يقودها مثل دَفع طبيعيّ إلى مكانه وغايته "⁹⁴. المكان المناسب له، حيث الحبّ هو السّيّد المطلق، هو قلب المسيح: "يا ربّ، إلى أين تذهب بأولئك الذين تعانقهم وتحملهم بين ذراعيك إلّا إلى قلبك؟ قلبك، يا سبوع، هو مَنُ لاهوتك العَدْب (راجع العبرائيّين 9، 4) الذي يسوع، هو مَنُ لاهوتك العَدْب (راجع العبرائيّين 9، 4) الذي طوبي لمن تعانقهم وتقودهم إلى هناك. طوبي لمن يُغمّرون في طوبي لمن تعانقهم وتقودهم إلى هناك. طوبي لمن يُغمّرون في هذه الأعماق، وتُخبّئهم في سرّ قلبك".

⁹³ راجع الشّرح الثّاني في سفر نشيد الأناشيد (Expositio altera super) وراجع الشّرح الثّاني في سفر نشيد الأناشيد (Cantica Canticorum)، الفصل الأوّل: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 180، 180.

⁹⁴ GUGLIELMO DI SAINT-THIERRY ، طبيعة الحبّ وكرامته، 1: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنسة اللاتينيّة 184، 379.

⁹⁵ المؤلّف نفسه، *صلوات وتأمّلات*، 8، 6: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 180، 230.

106. يوحِّد القدّيس بونافنتورا الخطّين الرّوحيَّين حول قلب المسيح: فبينما يقدّمه على أنّه مصدر الأسرار والنّعمة، يقترح أن يصبح هذا التأمّل علاقة صداقة، ولقاء حبّ شخصيّ.

107. من جهة، يساعدنا هذا الفكر على التعرّف على جال النعمة والأسرار التي تتدفَّق من ينبوع الحياة الذي هو جنب المرتِ المجروح: "لكي تتكوَّن الكنيسة من جنب المسيح المُضجَع على الصّليب، ويتمَّ الكتاب الذي يقول: "فينظرون إلى الذي طعنوه"، إذ ضربه واحد من الجنود برمح ففتح جنبه. سمحت العناية الإلهيّة بذلك، فخرج من الجرح دمٌ وماء، ثمن خلاصنا، الذي تدفَّق من ينبوع القلب الحفيّ، فأعطى أسرار الكنيسة القوّة لتمنح حياة النعمة، وصار للذين يحيون في المسيح مثل كأس مملوءة من الينبوع الحيّ الذي يتدفّق إلى المسيح مثل كأس مملوءة من الينبوع الحيّ الذي يتدفّق إلى المسيح مثل كأس مملوءة من الينبوع الحيّ الذي يتدفّق إلى المسيح المُورد المنتجة "96".

108. ثمّ يدعونا القدّيس بونافنتورا إلى القيام بخطوة أخرى، حتّى لا يصبح الوصول إلى النّعمة شيئًا مثل السّحر، أو نوعًا من الفيض بحسب الأفلاطونيّين الجدد، بل يكون علاقة مباشرة مع المسيح وسُكنى في قلبه، والذي يشرب هو صديق المسيح، هو قلب يجِبّ: "قومي إذن يا نفسي، صديقة

⁹⁶ القدّيس بونافنتورا، ش*بجرة الحياة. في سرّ الآلام،* 30: *الكتب الرّوحيّة،* 3، روما 1992 (كتابات القدّيس بونافنتورا، XIII)، 245.

المسيح، وكوني الحمامة التي تبني عشّها في جدار المغارة. وكوني العصفور الذي وجد له مأوى، ولا يكِفُ عن حراسته، وكوني اليمامة التي تخبّئ فراخ حبّها العفيف، في هذه الفتحة المقدسة "97.

انتشار عبادة قلب يسوع

109. شيئًا فشيئًا أخذ الجنب المجروح، حيث يقيم حبُّ المسيح، ومنه تتدفَّق حياة التعمة، صورة القلب، خاصة في الحياة الرهبانية. نعلم أنّ عبادة قلب المسيح لم تظهر بطُرُق متشابهة على مَرّ التاريخ، وأنّ الأوجه التي تطوّرت في العصر الحديث، والمرتبطة بخِبراتٍ روحيّة مختلفة، لا يمكن إبعادها عن سياقها وربطها بطرق القرون الوسطى، وأقلّ من ذلك، هما ورد في الكتاب المقدّس، حيث يمكننا أن نلمح بذورًا لهذه العبادة. ومع ذلك، فإنّ الكنيسة اليوم لا تترك جانبًا أيّ وجه من أوجه الخير التي أعطانا إيّاها الرّوح القدس على مرّ القرون، عالِمِين أنّه سيكون من الممكن دامًّا التعرُّف على معنى أوضح وأكمل لبعض خصائص هذه العبادة، أو فهم وكشف أوجه جديدة لها.

⁹⁷ المرجع نفسه، 47.

110. نساء قدّيسات كثيرات روَيْنَ خِبْراتهنّ في لقائهنَّ مع المسيح، وقد تميَّز بالرّاحة في قلب الرّب، ينبوع الحياة والسّلام الدّاخلّي. مثلًا القدّيسة لوتجاردا (Lutgarda)، والقدّيسة ماتيادا دى هاكبورن (Matilde di Hackeborn)، والقدّيسة أنجيلا دي فولينيو (Angela da Foligno)، وجوليانا دى نورويتش (Giuliana di Norwich)، هؤلاء من بين كثيرات غيرهِنّ. رَوَت القدّيسة جيرترودا دي هلفتا (Gertrude di Helfta)، وهي راهبة من راهبات السيسترسيين (cistercense)، لحظة صلاة أسندت فيها رأسها على قلب المسيح واستمعت إلى خفقات قلبه. وفي حوار مع القدّيس يوحنّا الإنجيليّ، سألته لماذا لم يتكلُّم في إنجيله عمًّا شعر به عندما قام بالخبرة نفسها. وتستنتج القدّيسة جبرترودا أنّ "عذوبة خفقات القلب هذه قد حُفِظَتْ للعصر الحديث، حتى إذا ما استمع إليها العالم الحديث الذي كبِرَ وشاخ وصار فاترًا، استطاع أن يستعيد حرارته ويتجدَّد في محبَّة الله"98. ربّما يمكننا أن نرى في هذا الكلام أنّه نذير الأزمنتنا، وتنبيه لنا لندرك كم صار هذا العالم "قديمًا" وهو في حاجة دامّة لإدراك رسالة محبّة المسيح دامّة التّجدّد. اعتبرَتْ القدّيسة

⁹⁸ القدّيسة جيرترودا دي هلفتا، بشير العبادة الإلهيّة - Legatus divinae . 4 القدّيسة جيرترودا دي هلفتا، بشير العبادة 255، 66.

جيرترودا والقدّيسة ماتيلدا من بين "أكثر القريبين من القلب الأقدس"⁹⁹.

111. الرّهبان الكرتوزيّون، وخاصّة بتشجيع من اللاهونيّ لودولف من ساكسونيا (في ألمانيا)، وجدوا في عبادة قلب يسوع الأقدس طريقًا ليملأوا علاقتهم بيسوع المسيح بالمودّة ولترب. فمن يدخل من جرح قلبه يلتهب بالمحبّة. وكتبت القدّيسة كاترينا من مدينة سيينا (إيطاليا) أنّ الآلام التي تحمّلها الرّبّ يسوع لا يمكن أن نتصوّرها، لكن قلب المسيح المفتوح هو بالنسبة لنا إمكانيّة لقاء حقيقيّ وشخصيّ مُفعَم بالحبّ: الأظهر لكم هذا في جانبي المفتوح، حيث يتم اكتشاف سرّ القلب، ويبيّن أتني أحبّكم أكثر بكثير تما أستطيع أن أبيّن لكم ذلك بتحمّل آلام محدودة "100".

112. وشيئًا فشيئًا تجاوزت عبادة قلب يسوع حياة الأديار التَّامَّليّة وملأت روحانيّة معلِّمين قدّيسين ووعًاظ ومؤسِّسِي رهبنات، الذين نشروها في أقصى بقاع الأرض.

⁹⁹ LÉON DEHON ، الدليل الروحي لكهنة قلب يسوع الأقدس، ترنهوت 1936، II، الفصل VII، رقم 141.

¹⁰⁰ القدّيسة كاترينا من مدينة سيينا، حوار العنايّة الإلهيّة، 144، 1928 ، FIORILLI M. – CARAMELLA S. (ed.): LXXV الجي مثلًا أنجيلوس فالز، في عبادة قلب يسوع الإلهيّ في رهبنة الواعظين، 101 راجع مثلًا أنجيلوس

Saint Jean) أود القدّيس يوحنّا أود (Eudes كانت مبادرة القدّيس يوحنّا أود (Eudes كان أمّيّة خاصّة: "بعد قيامه مع رهبانه بحملة وعظ كان لها أثر بالغ في مدينة "رين" (Rennes) في فرنسا، تمكّن من إقناع أسقف تلك الأبرشيّة بالموافقة على الاحتفال بعيد قلب يسوع الأقدس. كانت تلك المرّة الأولى التي يُحتفَل فيها قلب يسوع الأقدس. كانت تلك المرّة الأولى التي يُحتفَل فيها بعد سمح أساقفة كوتانس بهذا العيد رسميّا في الكنيسة. وفيما بعد سمح أساقفة كوتانس (Evreux) وإفرو (Evreux) وبايو (Bayeux) وليزيو (Lisieux) وروان (Rouen)، بالعيد نفسه في أبرشيّاتهم بين السّنتَين 1670 و 1671"

القديس فرنسيس دي سالِس

114. في العصور الحديثة، مساهمة القديس فرنسيس دي سالِس جديرة بالتقدير. كان يتأمّل كثيرًا في قلب يسوع المفتوح، الذي يدعو إلى المكوث فيه في علاقة محبّة شخصيّة تنير أسرار الحياة. يمكن أن نرى في فكر هذا المعلّم القديس كيف ظهر له قلب المسيح نداءً إلى الثقة الكاملة وإلى عمل النعمة السّري، في مواجمة مواقف الترمُّت في الأخلاق المبنيّة على بعض أعمال العبادة الخارجيّة. قدَّم رؤيته للبارونة دي شانتال في هذه الكلمات: "من الواضح جدًّا لي أنّنا لن نبقى في أنفسنا بعد الآن [...] وأنّنا سنقيم إلى الأبد في جنب المخلّص

¹⁰² RAFAEL GARCÍA HERREROS, Vida de San Juan Eudes, Bogotá 1943, 42.

المطعون، في الواقع، بدونه، ليس فقط لا نقدر، بل حتّى لو كنّا نقدر، لما كنّا نريد أن نعمل شيئًا"¹⁰³.

115. بالنسبة له، كانت العبادة بعيدة كلّ البعد عن أن تصبح شكلًا من أشكال الخرافة أو تجسيدًا غير مبرَّر للنعمة، لأنّها دعوة إلى علاقة شخصية يشعر فيها كلّ شخص بأنّه فريد أمام المسيح، ومُعترف به في واقعه الفريد غير القابل للتكرار، كما فكَّر فيه المسيح، ومُقدّر بطريقة مباشرة وحصريّة: "هذا القلب المعبود والمحبوب جدًّا لمعلّمنا المضطرم بالحبّ الذي يعلنه لنا، وهو القلب الذي نرى فيه جميع أسمائنا مكتوبة [...] إنّه لعزاء كبير أن يجبّنا الرّبُّ كثيرًا بمودة ويحملنا دامًّا في قلبه "104. كان اسمُ العَلَم (اسم الشّخص) هذا المكتوب في قلب المسيح كن اسمُ القريقة التي حاول بها القدّيس فرنسيس دي سالِس أن يؤكّد مقدار محبّة المسيح لكلّ شخصية يشعر فيها المؤمن بالتقدير والاعتراف به: "ما أجمل هذه السّماء، حيث المخلّف ويرتوون! والشّمس وصدره ينبوع حبّ يشرب منه الطّوباويّون ويرتوون! يذهب كلّ واحد للتأمّل فيه، فيرى حبّه مكتوبًا فيه بأحرف يذهب كلّ واحد للتأمّل فيه، فيرى حبّه مكتوبًا فيه بأحرف

ريسه ين المعديسة جوان عربسيسان دي ساليس، المجلّد 2/8: الرّسائل 1605-الأعمال الكاملة للقدّيس فرنسيس دي ساليس، المجلّد 2/8: الرّسائل 1605-1610، روما 2021، 686.

¹⁰⁴ عظة في الأحد الثّاني للزّمن الأربعيني، 20 شباط /فبراير 1622.

من حبّ، والحبّ وحده يقدر أن يقرأها، والحبّ وحده هو الذي نقشها. يا ابنتي، ألن تكون أساؤنا أيضًا هناك؟ بَلي، ستكون هناك بلا شك، لأنّه حتّى لو لم يكن في قلبنا الحبّ، فإنَّ فيه الرَّغبة في الحبّ وبداية الحبّ"¹⁰⁵.

116. اعتبر هذه الخبرة أمرًا أساسيًّا في الحياة الروحية، واعتبرها مثل حقائق الإيمان الكبرى: "نعم، يا ابنتي العزيزة، هو يفكِّر فيكم، ولس فقط فيكم، بل في أصغر شعرة من رؤوسكم أيضًا: هذه حقيقة إيمان يجب ألَّا نشكُّ فيها إطلاقًا"106. ينتج عن ذلك أنّ المؤمن يصبح قادرًا على أن يسلِّمَ نفسه تسلَّمًا تامًّا لقلب المسيح، حيث يجد الرّاحة والعزاء والقوّة: "يا إلهتي، يا لسعادتي حين أبقى بين ذراعَيْ المخلِّص وعلى صدره. [...] ظلِّي كذا، يا ابنتي العزيزة، ومثل قدّيس يوحنّا صغير، بينما يأكل الآخرون أطعمة مختلفة على مائدة المخلِّص، ضَعي من جديد، بكلِّ بساطة وثقة، وأميلي وأريحي رأسك، ونفسك، وروحك، على صدر الرّبّ

¹⁰⁵ رسالة إلى القديسة جوفاتًا فرنشيسكا دى شانتال في الاحتفال بعيد الصعود في 1612: القدّيس فرنسس دى سالس، *الأعال الكاملة*، المجلّد II، (1611-1618) روما 1967، 183، الرّسالة 781.

¹⁰⁶ رسالة إلى ماريًا أماتا دى بلوناي (de Blonay)، 18 شباط/فيراير 1618: المرجع نفسه، 1056، الرّسالة 140.

الحبيب"107. "أرجو أن تكوني في التوح في مغارة اليمامة وفي جنب مخلِّصنا العزيز المطعون. [...] ما أطيب هذا الرَّبّ، يا ابنتي العزيزة! وما أحبَّ قلبه! لنمكُثْ هناك، في هذا المقرّ المقدّس"108.

117. مع ذلك، بحسب تعليمه عن تقديس الحياة العادية، يقترح أن تكون هذه الحياة في وسط الأعال والمهام وواجبات الحياة اليومية: "تسأليني كيف يجب أن تتصرّف في أعالها اليومية التفوس المنجذبة إلى الصّلاة بهذه البساطة المقدّسة والتّسليم الكامل لله؟ أجيب أنّه، ليس فقط في الصّلاة، ولكن في القيام بكلّ أعال حياتهم، يجب أن يسيروا دامًا بروح في القيام بكلّ أعال حياتهم، يجب أن يسيروا دامًا بروح البساطة، وأن يتركوا ويسلّموا أنفسهم بكاملها، وأعالهم ونجاحاتهم إلى إرادة الله، بمحبّة كاملة وثقة مطلقة، مستسلمين لنعمة الله ولرعاية الحبّ الأزليّ الذي تكنّه لهم العناية الإلهيّة "109.

¹⁰⁷ رسالة إلى القدّيسة جوفاتا فرنشيسكا دي شانتال، أواخر تشرين التّاني/نوفمبر 1609. المرجع نفسه، 610، الرّسالة 552.

¹⁰⁸ رسالة إلى القديسة جوفاتًا فرنشيسكا دي شانتال، حوالي 25 شباط/فبراير 1610:/لمرجع نفسه، 654، الرّسالة 573.

¹⁰⁹ الحديث XIV، في البساطة والفطنة الرّهبانية.

118. لكل هذه الأسباب، عندما حان التفكير في رمز يمكن أن يلخِص رؤيته في الحياة الروحيّة، قال: "لقد فكّرت، إذًا، أيّها الأمّ العزيزة، إن وافقتِ، أنّه يجب أن نتّخذ شعارًا لنا: قلب واحد مطعون بسهمين ومحاط بإكليل من الشّوك "110.

إعلان حبّ جديد

Paray-le-) لو مونيال (-Amil القرن السّابع عشر، بتأثير روحانيّة (Monial) في نهاية القرن السّابع عشر، بتأثير روحانيّة القدّيس فرنسيس دي سالِس. رَوَت القدّيسة مارغريتا مريم القدّيس فرنسيس دي سالِس. رَوَت القدّيسة مارغريتا مريم الأكوك (Margherita Maria Alacoque) ظهورات محمّة حدثت بين نهاية كانون الأوّل/ديسمبر 1673 وحزيران/يونيو 1675. إعلان الحبّ الذي ظهر في الطّهور الأوّل الكبير أساسيّ. يقول يسوع: "إنّ قلبي الإلهي مشغوف الأوّل الكبير أساسيّ. يقول يسوع: "إنّ قلبي الإلهي مشغوف بحبّ البَشَر، وبحبّك خاصّة، لدرجة أنّه لم يَعُدْ قادرًا على احتواء نيران حبّه المتّقدة فيه، فيشعر بالحاجة لأن ينشرها بواسطتك ويريد أن يظهر للبشر، حتّى يغنيهم بالكنوز الثّمينة التي سأكشفها لك"111.

110 رسالة إلى القديسة جوفاتًا فرنشيسكا دي شانتال، 10 حزيران/يونيو 1611: القديس فرنسيس دي ساليس، الأعمال الكاملة، المجلّد II، (1611-1618), وما 1967، 56، الرّسالة 69.

¹¹¹ القدّيسة مرغريتا مريم ألاكوك، *السّيرة النّاتيّة*، روما 1983، 131.

120. لحَّصت القديسة مارغريتا مريم كلّ شيء بطريقة قويّة ومتَّقدة، قالت "كشف لي عن عجائب حبّه وأسرار قلبه الأقدس التي لا يمكن تفسيرها، والتي كانت خافيةً عليَّ حتى تلك اللحظة، التي فيها كشفها لي للمرّة الأولى، وبطريقة حقيقيّة ومحسوسة جدًّا لا تترك أيَّ مجالٍ للشّكّ" 112. وفي الطّهورات اللاحقة كررت جال هذه الرّسالة: "كشف لي عجائب حبّه الخالص الذي لا يمكن تفسيره، وإلى أيِّ مبالغة دفعه فأحبّ البشر "113.

121. هذا الاعتراف المتوقّد بمحبّة يسوع، الذي نقلته إلينا القدّيسة مارغريتا مريم، يقدِّم لنا حوافز ثمينة للاتّحاد به. وهذا لا يعني أنّه يجب أن نشعر بأنّنا مُلزَمون بقبول كلّ تفاصيل هذه الطريقة الرّوحيّة، حيث يمتزج عمل الله، كما يحدث عادة، بعناصر بشريّة مرتبطة بالرّغبات والهموم والتّصوُّرات الدّاخليّة للشّخص. 114 يجب إعادة قراءة هذه الطريقة دامًا في ضوء الإنجيل وكلّ غنى تقليد الكنيسة الرّوحيّ، ونعترف بمدى الخير الذي قدَّمته للعديد من الأخوات والإخوة. وهذا يسمح لنا بالتعرُّف على مواهب الرّوح القدس في خبرة الإيمان والمحبّة بالتعرُّف على مواهب الرّوح القدس في خبرة الإيمان والمحبّة

112 المرجع نفسه.

¹¹³ المرجع نفسه ، 134.

¹¹⁴ راجع دائرة عقيدة الإيمان، *قواعد للتّمييز في الظواهر خارقة الطّبيعة*، 17 أيًّا, /مايو 2024، A، I، م. 20

هذه. وأهم من التفاصيل هو جوهر الرّسالة المنقولة إلينا والتي يمكن تلخيصها في الكلمات التي سمعتها القدّيسة مارغريتا: "هذا هو القلب الذي أحبّ البشر كثيرًا ولم يُدَّخِرْ شيئًا حتّى أفني نفسه، ليشهد على حبّه لهم"115.

122. هذا الطُّهور هو دعوة ليزداد لقاؤنا مع المسيح، بثقة مطلقة، حتّى الوصول إلى اتّحاد كامل ونهائي: "ليحِلُّ قلب يسوع الإلهتي محَلَّ قلبنا، فيحيا ويعمل فينا ولنا. ولتعمل إرادته فيناكلّ ما تشاء دون مقاومة من جهتنا، وأخبرًا لتحِلُّ عواطفه وأفكاره ورغباته محَلَّ عواطفنا وأفكارنا ورغباتنا، ولا سيِّما حبّه، فيُحِبّ نفسه فينا ومن أجلنا. وهكذا، بما أنّ هذا القلب المحتِ هو كلّ شيء لنا في كلّ شيء، يمكننا أن نقول مع القدّيس بولس: لسنا نحن الذين نحيا، بل هو الذي يحيا

¹¹⁵ القدّيسة مارغ يتا مريم ألاكك ، السّيرة النّاتية ، رقم 92 ، روما 1983 ، 180 .

¹¹⁶ المؤلّف نفسه، رسالة إلى الرّاهبة من بارج (de la Barge)، 22 تشرين الأوِّل/أكتنوبر 1689: حي*اة وأعال القديسة مارغريتا مريم ألاكوك*، المجلَّد II، روما 1985، 301.

123. في الرّسالة الأولى التي تسلَّمَتْها، تقدِّم لنا هذه الخبرة بطريقة أكثر شخصيّة وحِسِّيّة ومليئة بالنّار والحنان: "طلب متي قلبي، فابتهلت إليه أن يأخذه. فأخذه ووضعه في قلبه الحبيب، وفيه أراني ذرَّةً صغيرة تحترق في أتون قلبه المتَّقد" 117.

124. وفي مكان آخر نلاحظ أنّ الذي يعطينا نفسه هو المسيح القائم من بين الأموات، الممجّد، والمملؤ بالحياة والتور. ويتحدّث في مرّات أخرى عن الآلام التي تحمّلها من أجلنا، ونكران الجميل الذي يجده، أمّا هنا فليس التركيز على الدّم والجراح التي عانى منها، بل على النّور والنّار في المسيح الحيّ. جراحُ الآلام لا تختفي، بل تتحوّل إلى نور. وهكذا، يظهر هنا السّرّ الفصحيّ بكاله: "مرّةً، [...] في أثناء السّجود للقربان الأقدس، [...] يسوع المسيح، معلّمي الحبيب، حضر أماي متألّقًا بالمجد بجروحه الخمسة تسطع مثل خمس شموس. ومن كلّ جمة من إنسانيّته المقدّسة، كانت تنطلق نيران، ولا سيّا من صدره الحبيب، الذي كان يُشبه الأتون المتقد. بعد أن فتح صدره، أراني قلبه الحبيب، الينبوع الحيّ لهذه النّار. إذّاك فتح حدره، أراني قلبه الحبيب، الينبوع الحيّ لهذه النّار. إذّاك حدّ دفعه ذلك لأن يحبّ البشر، الذين لم يلقَ منهم بعد ذلك حدّ دفعه ذلك لأن يحبّ البشر، الذين لم يلقَ منهم بعد ذلك إلّا الححود واللامبالاة "118.

¹¹⁷ المؤلّف نفسه، السّبرة الذّاتيّة، 53، الأعمال المذكورة، 132.

¹¹⁸ المرجع نفسه ، 55، الأعمال المذكورة ، 134.

القدّيس كُلُود دي لا كولومبيير

125. لمَّا علِم القدِّيس كُلُود دي لا كولومبيير بخبرة القدِّيسة مارغريتا، أصبح على الفور مدافعًا عنها ومروِّجًا لرسالتها. وكان له دور خاص في فهم ونشر هذه العبادة لقلب يسوع الأقدس، ولكنّه عمل على تفسيرها أيضًا على ضوء الإنجيل.

126. بعض العبارات للقديسة مارغريتا، إذا أسيء فهمها، يمكن أن تقود المرء إلى الثقة المفرطة بالدّات وبالتضحيات والتقدمات الشّخصية، لكن القديس كُلُود بيَّنَ أنّ التَّأمّل في قلب المسيح، إذا كان حقيقيًا، لا يؤدي إلى الإعجاب بالدّات، أو بالجهود البشريّة أو إلى المجد الباطل، بل يؤدي إلى تسليم للدّات بين يدي المسيح، لا يمكن وصفه، ويملأ الحياة سلامًا وقرارًا. وقد عبر عن هذه الثقة المطلقة بهذه الصّلاة المعروفة:

"يا إلهي، أنا على قناعة تامّة أنك تسهر على جميع الذين يرجونك، وأنّه لا يمكن أن ينقص أيّ شيء عندما نترجّى منك كلّ شيء. ولهذا قرّرت أن أعيش في المستقبل دون أيّ قلق، وأن ألقي كلّ همومي عليك [...]. لن أفقد رجائي أبدًا، سأحتفظ به حتى آخر لحظة في حياتي، وسيبذل كلّ شياطين الجحيم في تلك اللحظة جمودهم عبقًا لانتزاعه مني [...] قد يريد البعض أن يجدوا سعادتهم في ثرواتهم أو مواهبهم، وقد يثق الآخرون ببراءة حياتهم، أو بأعمال التوبة الشديدة، أو بعدد

صدقاتهم، أو بحرارة صلواتهم. أمّا أنا، يا ربّ، فكلّ ثقتي هي ثقتي نفسها، وهي الثّقة التي لم تخدع أحدًا قطّ. ولهذا فإنّي على يقين بأنّي سأكون سعيدًا إلى الأبد، لأنّي أرجو ذلك رجاءً شديدًا، ولأنّي منك أرجو، يا إلهي"119.

127. كتب القديس كُلُود ملاحظة في كانون التَّاني/يناير 1677، سبقتها بعض الأسطر التي تشير إلى اليقين الذي يشعر به في رسالته: "أنا أعلم أنّ الله يريدني أن أخدمه بالسّعي لتحقيق رغباته فيما يختص بالعبادة التي يُلهِمُها إلى راهبة اختارها وهو يكشف لها نفسه بصورة خاصّة، وقد أراد أن يستخدم ضعفي لأساعدها. لقد ألهمت ذلك من قبل لأشخاصٍ كثيرين "120.

128. من المهمّ أن نلاحظ أنَّ في روحانيّة كُلُود دي لا كولومبير، جمعًا موفَّقًا بين الخبرة الرّوحيّة الغنيّة والجميلة للقدّيسة مارغريتا وبين التأمّل ذي الطّابع العمليّ في الرّياضة الرّوحيّة للقدّيس أغناطيوس. كتب في بداية الأسبوع التّالث من شهر الرّياضة الرّوحيّة: "أمران أثَّرا فيَّ بطريقة غير عاديّة. الأوّل هو الطّريقة التي يُظهِر بها يسوع نفسه للذين يبحثون

¹¹⁹ القدّيس كُلُود دي لا كولومبيير، خطاب في الثّقة بالله: خطابات مقدّسة في ربّنا والهنا يسوع المسيح، وفي ستيدتنا مريم العذراء، وفي القديسين، وفي الأواخر، الح...، المجلّد الثالث، تورينو 1913، 485-485.

¹²⁰ المؤلّف نفسه، رياضة روحيّة في لندن، 1-8 شباط/فبراير 1677.

عنه. قلبه غارق في مرارة رهيبة، كلّ الأهواء ذائبة فيه، والطّبيعة كلّها مضطربة. ومع كلّ هذه الاضطرابات، وكلّ هذه التجارب، يتّجه القلب مباشرة إلى الله، ولا يتردَّد في اتّخاذ الموقف الذي تلهمه إيّاه الفضيلة، بل أسمى الفضائل. والأمر النّاني هو موقف هذا القلب من يهوذا الذي خانه، والرّسل الذين تركوه بجبن، والكهنة وغيرهم من المسؤولين عن الاضطهاد الذي يتعرّض له، كلّ ذلك لم يقدر على إثارة أدنى شعور بالكراهية أو السّخط. أنا أتصوّر القلب الخالي من المرارة، ومن كلّ حدّة، والمملؤ بالحنان الحقيقي تجاه أعدائه "121.

القدّيس شارل دي فوكو والقدّيسة تريزا الطّفل يسوع

129. القديس شارل دي فوكو والقديسة تريزا الطفل يسوع، أعادوا، من دون أيّ ادّعاء، صياغة بعض عناصر العبادة لقلب المسيح، فساعدونا على فهمها بطريقة أكثر أمانة للإنجيل. لننظر الآن كيف ظهرت هذه العبادة في حياتهم. وسنعود إليها في الفصل التّالي لنبيّن أصالة البعد الإرساليّ الذي طوّره كلاهما بطرق مختلفة.

121 المؤلّف نفسه، *رياضة روحيّة في ليون*، تشرين الأوّل/أكتوبر- تشرين الثّاني/نوفمبر 1674.

يسوع محبتة

130. في لوي (Louye)، كان القديس شارل دي فوكو يزور القربان الأقدس مع ابنة عمّه مدام دي بوندي (de Bondy). وفي أحد الأيّام أرَتْه صورة قلب يسوع الأقدس. ¹²² كانت ابنة العمّ هذه عاملًا أساسيًّا في اهتداء الأقدس. ²² كانت ابنة العمّ هذه عاملًا أساسيًّا في اهتداء شارل، كما يعترف هو نفسه: "بما أنّ الله جعلكِ الأداة الأولى لرحمته لي، فإنّ كلّ مراحمه أتت بك. لو لم تَهدِيني أنت، ولم تسيري بي إلى يسوع ولم تعلّميني شيئًا فشيئًا، وكلمة كلمة تقريبًا، كلّ ما هو تقوى وصلاح، هل أكون حيث أنا اليوم؟ "¹²³. ولكن ما نبَّهتْ فيه بالتّحديد هو الإدراك المتّقد لحبة يسوع. كلّ شيء كان في هذا. هذا كان الشّيء الأهمّ. وكلّ هذا تمركز بصورة خاصة في عبادة قلب يسوع الأقدس، حيث وجد رحمة لا حدود لها: "نرجو الرّحمة اللامتناهية من الذي جعَلْتِني أعرِفُ قلبه الأقدس "¹²⁴.

¹²² راجع القدّيس شارل دي فوكو، رسالة إلى مدام دي بوندي، 27 نيسان /أبريل 1897: في مجموعة شارل دي فوكو – الأرشيف الأبرشي في فيفيير. 1893 المؤلّف نفسه، رسالة إلى مدام دي بوندي، 28 نيسان /أبريل 1901: شارل دي فوكو، رسالة إلى مدام دي بوندي. من دير الترابيست (Trappa) إلى تامنراست (Tamanrasset)، روما 1968، 73. راجع رسالة إلى مدام دي بوندي، 5 نيسان /أبريل 1909، "بِكِ عرفت السّجود للقربان الأقدس، والزياحات، وقلب يسوع الأقدس": المرجع نفسه، 154.

¹²⁴ رسالة إلى مدام دي بوندي، 7 نيسان /أبريل 1890: شارل دي فوكو، الأعمال المذكورة، 29.

131. ثمّ سيساعده مرشده الروحي، الأب هينري هوفلين (Don Henri Huvelin)، على التعمّق في هذا السّر المقدّس: "هذا القلب المبارك الذي كلَّمْتِني عليه مرارًا"¹²⁵. في 6 حزيران/يونيو 1889، كرس شارل نفسه للقلب الأقدس، الذي وجد فيه الحبّ المطلق. يقول للمسيح: "لقد ملأتني من تلك الخيرات لدرجة أنّه يبدو لي من الجحود لقلبك أن أشكّ تلك الخيرات لدرجة أنّه يبدو لي من الجحود لقلبك أن أشكّ أنّه مستعد أن يملأني من كلّ خير، مماكان عظيمًا، وأنّ حبّك وسخاءك لا حدود لها"¹²⁶. وهو سيكون النّاسك "باسم القلب الأقدس"¹²⁷.

132. في 17 أيّار/مايو 1906، وهو اليوم نفسه الذي صار فيه الأخ شارل غير قادر على أن يقيم القدّاس وحده، كتب هذا الوعد: "سأجعل قلب يسوع يحيا فيّ، بحيث لن أكون أنا

¹²⁶ القدّيس شارل دي فوكو، تأمّلات في العهد القديم (1896-1897)، 21-1 القديم (1896-1897)، (من يقدر أن يقاوم الله؟ تأمّلات في الكتاب المقدّس (1898-1898)، (وما 1983، 77-78.

¹²⁷ المؤلّف نفسه، رسالة إلى الأب هوفلين، 16 أيّار /مايو 1900: شارل دي فوكو – الأب هوفلين، مراسلات غير منشورة، تورينو – ليومان 1965، 132-132.

الذي أحيا، بل قلب يسوع يحيا فيّ، كماكان في التاصرة "128. صداقته مع يسوع، من القلب إلى القلب، لم يكن فيها أيّ شيء من التعبّد الدّاتي المصطنع. كانت أصل تلك الحياة المجرَّدة في التاصرة التي أراد شارل أن يقلِّد بها المسيح ويصير مثله. تلك العبادة المليئة بالحنان لقلب يسوع كان لها عواقب عمليّة جدًّا في أسلوب حياته. وحياته هو في النّاصرة تغذّت من تلك العلاقة الشّخصيّة مع قلب المسيح.

القدّيسة تريزا الطّفل يسوع

133. مثل القديس شارل دي فوكو، تنقسَتْ وارتوت القديسة تريزا الطفل يسوع من العبادة الكبرى التي غمرت فرنسا في القرن التاسع عشر. كان الأب ألمير بيشون فرنسا في القرن التاسع عشر. كان الأب ألمير بيشون (Almire Pichon) المرشد الرّوحيّ لعائلتها، ويُعتبر رسولًا كبيرًا للقلب الأقدس. إحدى أخوات تريزا أخذت في الرّهبنة اسم "مريم القلب الأقدس"، وكان الدّير الذي دخلته القدّيسة تريزا مكرّسًا للقلب الأقدس. ومع ذلك، فإنّ عبادتها اتَّغذت بعض المِيزات الخاصة، تجاوزت الأشكال المنتشرة في ذلك العصر.

¹²⁸ المؤلّف نفسه، *اليوميات*، 17 أيّار /مايو 1906: *المؤلّفات التروحيّة*، روما 1983، 346.

134. لمَّاكان عمرها خمس عشرة سنة، وجدت طريقة لتثبِّت علاقتها مع يسوع، "الذي يخفق قلبه في انسجام مع قلبي "¹²⁹. وبعد سنتَين، تكلّموا معها عن قلب مكلّل بالأشواك، فأضافت في رسالة: "تعلّمين أنّي لا أنظر إلى القلب الأقدس مثل الجميع، أنا أفكّر أنَّ قلب عروسي هو فقط لي، كما أنّ قلبي هو فقط له، ولهذا أتحدَّث معه في العزلة حديثًا عذبًا، حديث القلب إلى القلب، في انتظار أن أشاهده يومًا وجمًا لوجه "¹³⁰.

135. تكلَّمت تريزا في شعر لها عن معنى عبادتها، التي هي صداقة وثقة أكثر منها اتّكالًا على تضحياتها:

"أبحث عن قلبٍ مضطرم بالحنان يكون سندًا لي من دون بدل، يُحِب كُلّ شيء فيَّ حتّى ضعفي، ولا يتركني، لا ليلًا ولا نهارًا [...].

¹²⁹ القديسة تريزا الطّفل يسوع من ليزيو، *الرّسالة 67 إلى عمّمها مدام جيران* (Mme Guérin)، 18 تشرين الثّاني /نوفمبر 1888: *الأعال الكاملة*، حاضرة الفاتيكان 1997، 354.

¹³⁰ المؤلّف نفسه، *الرّسالة 122 إلى سِلين* (Celine)، 14 تشرين الأوّل /أكْتتوبر 1890: *الأعال الكاملة*، 421.

أريد إلهًا يكون مع طبيعتي أخًا لي ويقدر أن يتألّم [...].

أعرف جيّدًا أنَّ بِرِّناكلّه لا قيمة له في عينيك [...]. فأنا أختار حبّك المحرق مطهرًا لِي، يا قلبَ إلهي!"¹³¹

136. لعل أهم كتابة لها لفهم معنى عبادتها لقلب المسيح هي الرسالة التي كتبتها ثلاثة أشهر قبل موتها إلى صديق لها، موريس بيليير (Maurice Bellière): "عندما أرى المجدلية تتقدَّم أمام المدعُوِين الكثيرين، تبلِّل بدموعها قدمَيْ المعلِّم المعبود، وهي تلمسه للمرّة الأولى، أشعر بأنّ قلبها فهم هاوية الحبّ والرّحمة في قلب يسوع، وبأنّها محما كانت خاطئة، فإن هذا القلب المحبّ مستعِدٌ، ليس فقط ليغفر لها، بل ليُغدِقَ عليها أيضًا نعم حياته الإلهيّة الحميمة، ويرفعها إلى أعلى قمم المشاهدة. آه! يا أخي الصّغير العزيز، منذ أن أُعطي لِي أن أفهم هكذا حبّ يسوع، أعترف بأنّه طرد من قلبي كلّ خوف. إنّ ذكرى أخطائي تذلّى، وتحملني على ألّ أعتمد على قوتي

¹³¹ المؤلّف نفسه، شِعر 23، إلى قلب يسوع الأقدس، حزيران /يونيو وتشرين الأوّل الكاملة، 667-668.

التي ليست إلّا ضعفًا. بل أكثر من ذلك، إنّ هذه الذّكرى تحدّثني عن الرّحمة والحبّ"¹³².

137. أصحاب العقول المتزمّنة في الأخلاق، الذين يدَّعون التَحكِّم بالرّحمة والتعمة، قد يقولون إنّ تريزا يمكنها أن تقول هذا لأنّها قدّيسة، لكن الخاطئ لا يستطيع أن يقول ذلك. وبذلك ينزعون من روحانيّة تريزا حداثها الجميلة التي تُظهِر قلب الإنجيل. مع أنّ هذا الموقف صار منتشرًا كثيرًا، مع الأسف، في بعض الأوساط المسيحيّة، وهو ادّعاء تقييد الرّوح القدس في إطار يسمح بوضع كلّ شيء تحت المراقبة. لكن معلّمة الكنيسة الحكيمة هذه تفنّدهم وتعارض هذا التفسير الإختزائيّ بهذه الكليات الواضحة جدًّا: "لو ارتكبت جميع الجرائم المكنة، إنّي أحتفظ بالثّقة نفسها. إنّي أشعر بأنّ كلّ هذا العدد الكبير من الإهانات هو مثل قطرة ماء تُلقّى في محرة مشتعلة "133.

138. أرسلت إلى الرّاهبة الأخت ماريّا، التي أثنت عليها لمحبّتها الكبيرة لله واستعدادها للاستشهاد أيضًا، رسالة مطوّلة هي اليوم مرجع في تاريخ الحياة الرّوحيّة. ينبغي قراءة هذه الرّسالة

¹³² المؤلّف نفسه، الرّسالة 247، إلى الأب موريس بيليير (Maurice) 187. 247 (Bellière)، 21 حزيران ليونيو 1897: الأعال الكاملة، 587.

¹³³ المؤلَّف نفسه، المحادثات الأخيرة. الدّفتر الأصفر، 11 تموز /يوليو 1897: الأعيال الكاملة، 1014-1015.

ألف مرّة لعمقها ووضوحها وجالها. فيها تساعد تريزا راهبة "القلب الأقدس" على عدم تركيز هذه العبادة على جانب الأوجاع، كما يفهم البعض أنّ التّعويض يعطى الأولويّة لواجب التضحيات أو التّشدّد الأخلاقيّ. أمّا هي فتلخّص كلّ شيء في الثّقة باعتبارها أفضل تقدمة تُرضي قلب المسيح: "رغبتي في الاستشهاد هي لا شيء، إنَّها لا تمنحني الثَّقة اللامحدودة التي أشعر بها في قلبي. في الواقع، المكافآت الرّوحيّة تجعل الإنسان غير عادل إذا اعتمد عليها ووجد فيها رضاه، واعتقد أنّ هذا شيء كثير [...] ما يسُرُّ يسوع هو أن يراني أُحِبّ صِغَري وفقري، ورجائي الأعمى في رحمته. هذا هو كنزي الوحيد [...] إن أردتِ أن تجدي الفرح أو الانجذاب في الألم، فأنت تبحثين عن نفسك وعزائك [...] يجب أن تفهمي أنَّك لكي تحبّي يسوع، ولتكوني ضحيّة حبِّه، كلَّما زاد ضعفك، بلا رغبات أو فضائل، زدتِ قربًا من حياة هذا الحبّ الذي يذيب ويحوّل [...]كم أتمنّي أن أجعلك تفهمين ما أشعر به... الثّقة، لا شيء غير الثّقة، هي التي تقودنا إلى الحت"134"

¹³⁴ المؤلّف نفسه، الترسالة 197، إلى التراهبة الأخت ماريا لقلب يسوع الأقدس، 17 أيلول/سبتمبر 1896: الأعال الكاملة، 537-538. هذا لا يعني أنّ تريزا لم تقدّم التّضحيات والآلام ومختلف الشّدائد، لتشارك يسوع في الامه، لكنّها عندما أرادت أن تسير في العمق، لم تُرِدْ أن تعطي لهذه الآلام والتّضحيات قيمة ليست لها.

139. في العديد من كتاباتها، يتضح معارضها لطرق روحية تركِّز أكثر من اللازم على الجهد البشريّ، وعلى استحقاق الفرد، وتقديم التضحيات، وعلى بعض المكاسب، "لدخول السّهاء". بالنّسبة لها، "ليس الاستحقاق في العمل الكثير ولا في العطاء الكثير، بل في الأخذ"¹³⁵. لنقرأ مرّة أخرى بعض النّصوص المهمّة جدًّا حيث تركّز على هذه الطّريقة، وهي طريقة بسيطة وسريعة لاكتساب رضا الرّب عن طريق القلب.

140. كتبت إلى الأخت ليوني ما يلي: "أؤكد لكِ أنّ الله أفضل ممّاً تعتقدين. إنّه يكتفي بنظرة، أو بتنهّدة حُب... أمّا أنا فأجد الكال سهل المارسة جدًّا، لأنّي فهمت أنّه يكفي أن أخذ يسوع بالقلب... انظري إلى ولدٍ صغير أغضب أمّه قبل قليل [...] إن أتى إليها باسطًا ذراعَيه الصّغيرتين، باسمًا وقائلًا: "عانقيني، ولن أكرر ذلك أبدًا". فهل يمكن لأمّه ألّا تشده إلى صدرها بحنان، وتنسى حِيلَه الطّفوليّة؟ ومع ذلك، تشدّه إلى صدرها بحنان، وتنسى حِيلَه الطّفوليّة؟ ومع ذلك، فهي تعلم أنّ صغيرها العزيز سيعيد الكرّة في أقرب فرصة. لكن لا بأس، فإن عاد واستالها بالقلب فهو لن يُعاقب أبدًا" 136.

.

¹³⁵ المؤلّف نفسه، الرّسالة 142، إلى سِلين (Celina)، 6 تموز /يوليو 1893: الأعال الكاملة، 451.

¹³⁶ المؤلّف نفسه ، الرّسالة 191 ، إلى ليوني (Leonie)، 12 تموز /يوليو 1896: الأعال الكاملة ، 528.

141. وفي رسالة إلى الأب أدولف رولان كتبت: "طريقي كله طريق ثقة وحبّ، ولا أفهم النفوس التي تخاف صديقًا حنونًا بهذا القدر. أحيانًا، عندما أقرأ بعض المؤلفات الروحيّة التي تُظهر الكمال محفوفًا بألف عائق ومحاطًا بأوهام لا تحصى، عقلي المسكين يتعب سريعًا جدًّا، فأُغلق الكتاب العِلمي الذي يصدّع رأسي ويجفّف قلبي، وآخذ الكتاب المقدّس، فيظهر لي كلّ شيء مشرقًا، وكلمة واحدة تفتح أمام روحي آفاقًا بلا حدود، ويبدو لي الكمال سهلًا: أرى أنّه يكفي أن أعترف بأتي حدود، وأستسلم مثل طفل بين ذراعي الله" 137.

142. وتوجّهت إلى الأب موريس بيليير، بخصوص أحد الوالدين، قالت: "لا أعتقد أنّ قلب الأب السّعيد يستطيع أن يقاوم ثقة ابنه به، وهو يعرف صدقه ومحبّته. ومع ذلك، فالأب لا يجهل أنّ الابن سيقع في الأخطاء عينها أكثر من مرة، لكنّه مستعدّ دامًا أن يغفر له، إن ظلَّ الابن يحبّه "¹³⁸.

أيّار /مايو 1897: الأعمال الكاملة، 573.

¹³⁸ المؤلّف نفسه، الرّسالة 258، إلى الأب موريس بيليير (Maurice) المؤلّف نفسه، الرّسالة 1598. (Bellière) الأعال الكاملة، 598.

أصداء في الرّهبنة اليسوعيّة

143. رأيناكيف ربط القديس كُلُود دي لا كولومبيير بين خبرة القديسة مارغريتا الروحية وبين الرياضة الروحية للقديس أغناطيوس. أعتقد أنّ مكانة القلب الأقدس في تاريخ الرهبنة اليسوعية تستحق أن نذكرها بإيجاز.

144. افترحت روحانية الرهبنة اليسوعية دامًا "معرفة حميمة للرّب يسوع لكي نجِبَّه ونتبعه بصورة أفضل "139". يدعونا القدّيس أغناطيوس في رياضته الرّوحيّة إلى أن نضع أنفسنا أمام الإنجيل الذي يقول لنا إنّ "جنب [يسوع] طُعِنَ بحربة فخرج منه دم وماء "140. الذي يقوم بالرّياضة الرّوحيّة عندما يحد نفسه أمام جنب المسيح المطعون، يقترح عليه أغناطيوس أن يدخل في قلب المسيح. إنّها طريقة لإنضاج القلب على يد "معلم خبير بالعواطف"، بحسب عبارة للقدّيس بطرس فابر "معلم خبير بالعواطف"، بحسب عبارة للقدّيس بطرس فابر أغناطيوس. [Pietro Favre] في إحدى رسائله إلى القدّيس أغناطيوس. [Padre Juan Alfonso de Polanco] كاتب بولانكو (Padre Juan Alfonso de Polanco)

¹³⁹ راجع القدّيس أغناطيوس دي لويولا، *الرّياضة الرّوحيّة*، 104، روما 1984، 110.

¹⁴⁰ المرجع نفسه ، 297: الأعمال المذكورة، 211.

¹⁴¹ راجع رسالة إلى القديس أغناطيوس، 23 كانون الثّاني/يناير 1541.

سيرة القديس أغناطيوس: "إنه [الكاردينال كونتاريني] الذي وجد في الأب أغناطيوس معلِّمًا خبيرًا في العواطف" 142. المحادثات التي يقترحها القديس أغناطيوس هي جزء أساسي من تربية القلب، لأننا نسمع ونتذوّق بالقلب رسالة الإنجيل، ونتكلَّم بها مع الرّب يسوع. يقول القديس أغناطيوس إنه يمكننا أن نقول كلّ شيء ليسوع، ونطلب مشورته فيها. كلّ من يقوم بذه الرّياضة يمكن أن يدرك أنّ فيها حوارًا من القلب إلى القلب.

145. يختتم القديس أغناطيوس تأملاته عند أقدام المصلوب، ويدعو الذي يقوم بالرياضة الروحية إلى أن يتوجّه إلى الرّب يسوع المصلوب بمودة كبيرة، وأن يسأله "كما يسأل صديقٌ صديقَه، أو خادمٌ سيّده" ماذا يجب أن يفعل من أجله. 143 تبلغ مسيرة الرياضة الروحية قَمّها، في "التّأمّل لبلوغ الحبّ"، ومنه يتدفّق الشّكر وتقديم "الذّاكرة والعقل والإرادة" للقلب الذي هو ينبوع وأصل كلّ خير. 144 معرفتنا الدّاخلية للرّب يسوع هذه، لا تُبنى بقدراتنا وجمودنا، بل تُطلَب عطيةً من الله

¹⁴² سيرة القدّيس أغناطيوس ومبادئ الرّهبنة اليسوعيّة ، 86 ، c. 8، 96، -Bilbao ، 96، c. 8.

القديس أغناطيوس دي لويولا، الترياضة التروحية، 54، روما 1984، 80.
 الجع المرجع نفسه، 230 وما يليه.

146. هذه الخبرة نفسها هي على أساس سلسلة طويلة من الرّهبان السوعيّين الذين أشاروا إشارة صريحة إلى قلب يسوع، أمثال القديس فرنسس بورجا (Francesco Borgia)، والقدّيس بطرس فابر (Pietro Favre)، والقدّيس ألونسو رو دريغيس (Alonso Rodriguez)، والأب ألفاريز دى باز (Álvarez de Paz)، والأب فينتشينسو كارافا (Vincenzo Carafa)، والأب كاسبر دروزبيكي (Kasper Drużbicki)، وعديدين آخرين. في سنة 1883، أعلن اليسوعيون "أنّ الرّهبنة اليسوعيّة تقبل وتستقبل بروح تفيض بالفرح والشّكر، الثّقل العذب الذي ألقاه عليها ربتنا يسوع المسيح وهو ممارسة وتعزيز ونشر العبادة لقلبه الإلهتي "145. في كانون الأوّل/ديسمبر 1871، كرس الأب بينتر جان بيكس (Pieter Jan Beckx) الرّهبنة لقلب يسوع الأقدس، وشهادة على ذلك، وأن هذا التّكريس لا يزال أمرًا حاضرًا في حياة الرهبنة، فعل الأب بيدرو أروبي (Pedro Arrupe) ذلك مرّة أخرى في سنة 1972، وقد عبّر عن قناعته بما يعمل في هذه الكلمات: "أريد أن أقول للرّهبنة شيئًا أشعر أنّه ينبغي ألّا أسكت عنه. منذ كنت في الابتداء (noviziato)، كنت دامًا مقتنعًا بأنّ ما نسمِّيه عبادة قلب يسوع الأقدس يحتوي على تعبير رمزي عن أعمق ما في روح الرّهبنّة، وفيها فعاليّة خارقة، أكثر ممَّاكانوا يتوقَّعون

¹⁴⁵ المجمع العامّ الثالث والعشرون للزهبنة اليسوعيّة، مرسوم 46، 1: معهد *الزهبنة اليسوعيّة*، 2، فلورنسا 1893، 511.

- (ultra quam speraverint) - سواء للكمال الشّخصيّ أو لخصوبة العمل الرّسوليّ. حتّى الآن لديّ القناعة نفسها. [...] إنّى أجد في هذه العبادة أحد أقوى ينابيع حياتي الدّاخليّة "146.

147. لما دعا القديس البابا يوحنا بولس الثاني "جميع أعضاء الرهبنة إلى تعزيز هذه العبادة التي تتَقِق أكثر من أيّ وقت مضى مع توقعات عصرنا"، فعل ذلك لأنّه أدرك الروابط الوثيقة بين العبادة لقلب الرّبّ وروحانيّة القدّيس أغناطيوس، لأنّ "الرّغبة في "معرفة حميمة للرّبّ يسوع" و"مواصلة الحوار" معه، من القلب إلى القلب، هي، بفضل الرّياضات الرّوحيّة، ميزة الدّيناميكيّة الرّوحيّة والرّسوليّة الإغناطيّة: كلّ الرّبيء في خدمة محبّة قلب الله" 147.

تدفّق غزير من الحياة الدّاخليّة

148. تظهر عبادة قلب المسيح في المسيرة الروحية لقديسين كثيرين مختلفين، وتتَّخذ هذه العبادة في كلّ واحد منهم وجمًا جديدًا. مثلًا، قال القديس منصور دي بول إنّ ما يريده الله هو القلب: "الله يطلب أوّلًا القلب، القلب: هذا هو الشّيء

¹⁴⁶ فيه رجائي، ميلانو 1983، 180.

¹⁴⁷ رسالة إلى الرئيس العام للرهبنة اليسوعيّة ، Paray-le-Monial ، 5 تشرين الأوّل /أكتوبر 1986 .

الرئيسيّ. لماذا الذي لا يملك شيئًا يمكنه أن يستحقّ أكثر من الذي يملك الكثير ويزهد فيه؟ لأنّ الذي لا يملك شيئًا، يذهب إليه بمودّة أكثر. وهذا ما يريده الله بشكلٍ خاصّ "¹⁴⁸. وهذا يفترض قبول اتّحاد قلبنا بقلب المسيح: "الأخت التي تبذل كلّ ما في وسعها لتهيئ قلبها لأن يتّحد مع قلب الرّبّ [...] كم من البركات ستنال من الله!"¹⁴⁹.

149. أحيانًا غيل إلى اعتبار سرّ المحبّة هذا وكأنّه أمر حسَنٌ من الماضي، ومثل روحانيّة جميلة لأزمنة أخرى، بل يجب أن نتذكّر دائمًا من جديد، كما قال أحد القدّيسين المُرسَلين، أنّ اهذا القلب الإلهي الذي تحمّل أن يطعنه عدُوِّ بحربته ففاضت من هذا الجرح المقدّس الأسرار التي تكوّنت بها الكنيسة، لم يتوقّف قط عن الحبّ "150. وقدّيسون آخرون في الآونة الأخيرة، مثل القدّيس بيو من بيترالشينا (Pietralcina)، والقدّيسة تريزا من كلكوتا وغيرهم كثيرون،

¹⁴⁸ محاضرات لآباء الترسالة، 132، 13 آب اأغسطس 1655، "الفقر": الله المتابع منصور دى بول، الأعهال، المجلّد 10، روما 2008، 208.

⁴⁹ محاضرات لراهبات بنات المحبّة، 89، 9 كانون الأوّل/ديسمبر 1657، "التقشف، والمراسلة، والطعام والسّفر" (قوانين عامّة، الأعداد 24-27): الأعمال المذكورة، المجلّد 9، 807.

¹⁵⁰ القديس دانيال كومبوني، الكتابات، 3324: دانيال كومبوني، الكتابات، بولونيا 1991، 998.

تكلّموا عن عبادة حارّة لقلب المسيح. وأريد أن أذكر خبرة القدّيسة فاوستينا كوالسكا (Faustina Kowalska) التي تقدّم لنا عبادة قلب المسيح مع تركيز شديد على الحياة المجيدة للمسيح القائم من بين الأموات، وعلى الرّحمة الإلهيّة. في الواقع، بناءً على خبرة هذه القدّيسة، واعتمادًا على الإرث الرّوحيّ الذي تركه الأسقف القدّيس جوزيف سيباستيان بيلكزار (-San Józef Sebastian Pelczar 1842) بيلكزار (-1924 القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني بصورة وثيقة تفكيرَه في الرّحمة الإلهيّة بالعبادة لقلب المسيح: "يبدو أنّ الكنيسة تجاهر وتجلّ رحمة الله بطريقة خاصّة عندما تتوجّه إلى قلب المسيح. وبالفعل، إنّ اقترابنا من المسيح في سرّ قلبه، يسمح لنا بالتوقّف عند هذه التقطة [...] كشف حبّ الآب الرّحيم وهو المضمون الجوهريّ لرسالة ابن الانسان المسيحانيّة "152. قال القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني نفسه، المسيحانيّة "152. قال القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني نفسه، المسيحانيّة "152. قال القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني نفسه، المسيحانيّة "152. قال القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني نفسه،

1

¹⁵¹ راجع عظة في القدّاس الإلهي لإعلان قداسة الطّوباوي جوزيف سيباستيان بيلكزار، 18 أيّار /مايو 2003: L'Osservatore Romano، و2003، 6. أيّار /مايو 2003، 6.

¹⁵² رسالة بابويّة عامّة، *غني بالرّحمة - Dives in misericordia*، 30 تشرين النّانى/نوفمبر 1980، 131. أ*عال الكرستي الرّسوليّ 2*7 (1980)، 1219.

في إشارة إلى القلب الأقدس، بطريقة شخصيّة جدًّا: "لقد كَلَّمني منذ شبابي"¹⁵³.

150. إنّ أهمّيّة العبادة لقلب المسيح اليوم تَظهَر بصورة خاصة، في عمل البشارة والتربية في رهبنات عديدة، نسائية ورجاليّة، وقد اتسمت منذ نشأتها بهذه الخبرة الرّوحيّة الكريستولوجيّة. أن نذكرها هنا أمر صعب لا ينتهي. لِنَرَ فقط مثالَين بصورة عشوائيّة: "وجد المؤسّس [القدّيس دانيال كومبوني] القوّة للقيام بعمل البشارة في سرّ قلب يسوع"154. "وبدافع من محبّة قلب يسوع، نحاول مساعدة التّاس على النَّمُو في كرامتهم الإنسانيَّة، كأبناء وبنات الله، على أساس الإنجيل وما يطلبه من المحبّة والغفران والعدل والتّضامن مع الفقراء والمهمَّشين"¹⁵⁵. وبالمثل، فإنّ المزارات المكرَّسة لقلب المسيح والمنتشرة في العالم هي مصدر جذّاب للرّوحانيّة والحماس. إلى جميع الذين يشاركون بطريقة أو بأخرى في أماكن الإيمان والمحبّة هذه، أمنح بركتي الأبويّة.

¹⁵³ التّعليم المسيحتي أثناء المقابلة العامّة، 20 حزيران/يونيو 1979: L'Osservatore Romano، 22 حزيران/يونيو 1979، 1.

¹⁵⁴ المرسلون الكومبونيّون لقلب يسوع، *قانون الحياة والقوانين والتّليل العام*، روما 1988، 3.

 $^{^{155}}$ راهبات قلب يسوع الأقدس، 165 والمبات قلب يسوع الأقدس، 155

العبادة في التّعزية

151. جُرحُ الجنب، الذي تدفّق منه الماء الحيّ، لا يزال مفتوحًا في الرّبّ القائم من بين الأموات. هذا الجرح الكبير الذي أحدثته الحَربَة والجراح التي سبّبها إكليل الشّوك التي تظهر غالبًا في صور قلب يسوع الأقدس، لا يمكن فصلها عن هذه العبادة. في الواقع، فيها نتأمّل في محبّة يسوع الذي كان قادرًا أن يبذل نفسه حتّى النّهاية. قلب الرّبّ القائم من بين الأموات يحفظ علاماتِ بذلِ ذاتِه حتى النّهاية، متحمِّلًا آلامًا شديدة من أجلنا. لذلك، من المحتّم إلى حدّ ما أن يرغب المؤمن أن يُجيب ليس فقط على هذا الحبّ الكبير، بل أيضًا مع الألم الذي قبِلَ المسيح أن يتحمّله مع هذا الحبّ الكثير.

معه على الصّليب

152. يجدر بنا أن نستعيد هذا التعبير عن الخبرة الرّوحيّة الذي تطوّر حول قلب المسيح أي الرّغبة الدّاخليّة في تعزيته. لن أتناول الآن الكلام على التّعويض أو التّكفير، الذي أرى مكانه أنسب في سياق البعد الاجتاعيّ لهذه العبادة، والذي أشرحه في الفصل التّالي. الآن أودّ فقط أن أركّز على الرّغبة التي تظهر غالبًا في قلب المؤمن المحبّ عندما يتأمّل في سرّ الام المسيح، ويعيشه ليس فقط سرًّا يتذكّره، بل يصير بالنّعمة شيئًا حاضرًا فيه، وأكثر من ذلك، يحملنا هذا السّر إلى أن نكون نحن حاضرين بصورة سرّيّة في لحظة الفداء. إن كان الحبيب هو الأهم فكيف إذًا لا نريد أن نعرّيه ؟

153. حاول البابا بيوس العاشر أن يجعل لهذه الخبرة أساسًا متينًا، ودعانا إلى أن نعترف بأنّ سرّ الفداء بالام المسيح، بنعمة الله، يتجاوز كلّ مسافات الزّمان والمكان، فإذا بذل ذاته على الصّليب بسبب خطايا المستقبل، فإنّ خطايانا اليوم، وأعالنا المقدَّمة لتعزيته، تتجاوز الزّمن وتصل إلى قلبه المجروح: "فإن كانت نفس يسوع، بسبب خطايانا المستقبلية، والتي رآها مسبقًا، قد حزنت حتى الموت، فلا شكّ أنّه شعر أيضًا ببعض العزاء منذ ذلك الحين من تعويضنا، لمّا ظهر له الملاك من السباء (لوقا 22، 43) ليعزّي قلبه المنهك من الحزن والقلق. وهكذا، حتى الآن، بهذه الطّريقة العجيبة والحقيقية، والقلق. وهكذا، حتى الآن، هذه الطّريقة العجيبة والحقيقية، باستمرار بسبب خطايا النّاس ونكرانهم له"156.

أسباب القلب

154. قد يبدو أنّ هذا التّعبير عن العبادة ليس له الدّعم اللاهوتيّ الكافي، لكن في الحقيقة القلب له أسبابه. "حسّ المؤمنين" ينتبه إلى أنّه يوجد هنا شيء سرّيّ يتجاوز منطقنا البشريّ، وأنّ آلام المسيح ليست فقط حادثة من الماضي: بل يكننا المشاركة فيها بالإيمان. أن نتأمّل في بذل المسيح ذاته على الصّليب، بالنّسبة لتقوى المؤمنين، هو شيء أكبر من

¹⁵⁶ رسالة بابويّة عامّة، *الفادي الرّحيم - Miserentissimus Redemptor*، 8 أيّار /مايو 1928: *أعال الكرستي الرّسوليّ* 20 (1928)، 174.

مجرّد ذكرى بسيطة. وهذه حقيقة راسخة في اللاهوت. 157 ويضاف إلى ذلك إدراكنا خطيئتنا التي حملها على كتفَيه المجروحتَين، وعدم استحقاقنا لهذا الحبّ الكثير، الذي يفوقنا دائمًا بلا حدود.

155. وفي كلّ الحالات، نسأل أنفسنا كيف يمكن أن ننظر إلى المسيح الحيّ القائم من بين الأموات، كامل السعادة، وفي الوقت نفسه نعزّيه في آلامه. لنفكّر في هذا الواقع أنّ قلب يسوع القائم من بين الأموات يحفظ جرحه ذِكرى ثابتة، وأنّ عمل النّعمة يُثير فينا خبرة ليست محصورة كلّها في الزّمن. هذان الأمران يتيحان لنا بأن نعترف بأنّنا أمام طريق صوفيّة تتجاوز جهود العقل، وتعبِّر عمّا تلهمنا إيّاه كلمة الله نفسها. "وكتب البابا بيوس الحادي عشر: كيف يمكن القول إنّ المسيح يملك سعيدًا في السّماء إن كان من الممكن تعزيته بهذه الأعمال التعويضيّة؟ نقول مع أغسطينس: "أعط نفسًا تحبّ التفهم ما أقول" (في إنجيل يوحنًا، XXXVI)، هذه كلمات تردّ بالتّحديد على ما نريد. في الواقع، كلّ نفس، متّقدة حقًّا بحجبة الله، إن نظرَتْ إلى الماضي، وتأمّلت، رأتْ يسوع المتألّم من أجل الإنسان، الحزين، في وسط الآلام الخطيرة، "من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا"، آلام وقلق وعتاب. لقد

¹⁵⁷ عندما تُارس فضيلة الإيمان، وتُوجَّه إلى المسيح، فإنّ التفس لا تصل فقط إلى الأفكار التي يجب أن نتذكّرها، بل إلى حقيقة حياته الإلهيّة (راجع القدّيس توما الأكوينق، الخلاصة اللاهوتيّة، [II-II, q. 1, a. 2, ad. 2; q. 4, a. 1].

"سُجِقَ بِسَبَبِ آثامِنا" (أشعيا 53، 5)، وهو الذي يشفينا بجراحه. وأمام كلّ هذا، كلّما دخلت النّفوس النّقيّة في العمق، رأت بوضوح أنّ خطايا البشر التي ارتكبوها في كلّ زمن، كانت سبّبًا في تسليم ابن الله إلى الموت"158.

156. يجب أن نأخذ بعين الاعتبار تعليم البابا بيوس الحادي عشر. في الواقع، عندما يذكر الكتاب المقدّس أنّ المؤمنين الذين لا يعيشون حسب إيمانهم فإنّهم "يَصلِبونَ ابنَ اللهِ ثانِيةً" (العبرانيين 6، 6)، أو عندما أتحمّل الآلام من أجل الآخرين فإنّي "أُتّمُ في جَسَدِي ما نَقَصَ مِن شَدائِدِ المسيح" (قولسي فإنّي "أُتّمُ في جَسَدِي ما نَقَصَ مِن شَدائِدِ المسيح" (قولسي تلاميذه في ذلك الوقت، بل من أجل "الَّذينَ يُؤمِنونَ بِه عن كلامِهم" (يوحمّا 17، 20)، كلّ هذا الكلام من الكتاب المقدّس يحطّم أنماط فكرنا المحدودة. هذا كلام يبيّن لنا أنّنا لا يعرف أن يقول هذا ماضٍ وهذا جاء بعده ولا رباط بينها، وفكرنا لا يعرف أن يفسِّر ذلك. الإنجيل، في أوجمه المختلفة، وفكرنا لا يعرف أن يفسِّر ذلك. الإنجيل، في أوجمه المختلفة، في أعال المحبّة أو في الخبرة الدّاخليّة، وهذا ينطبق بشكل في أعال المحبّة أو في الخبرة الدّاخليّة، وهذا ينطبق بشكل بين الأزمنة الذي يستخدمه عقلنا لا يعبّر عن حقيقة هذه بين الأزمنة الذي يستخدمه عقلنا لا يعبّر عن حقيقة هذه بين الأزمنة الذي يستخدمه عقلنا لا يعبّر عن حقيقة هذه

158 بيوس الحادي عشر ، رسالة بابويّة عامّة ، الفادي الرّحيم - Miserentissimus . 174 .(1928) 8 أيّار /مايو 1928: أعهال الكرسيّ الرّسوليّ 20 (1928)، 174. الخبرة الإيمانيّة، حيث المسيح المتألّم، وفي الوقت نفسه، القوّة والعزاء والصّدافة التي نقدِّمها للرّبّ القائم من بين الأموات.

157. لنرَ إذًا وَحدة السّرّ الفصحيّ، في وجَمَيْهِ غير المنفصلين واللذين يضيء كلّ واحد منها الآخر. هذا السّر الواحد، الحاضر بالنّعمة في وجَهَيْه، يعنى أنّه عندما نسعى إلى أن نقدّم شيئًا للمسيح لنعرّيه، فإنّ نور المحبّة الفصحيّ ينير ويغيّر آلامنا. ما يحدث هو أتنا نشارك في هذا السّر في حياتنا العمليّة، لأنّ المسيح نفسه أراد أن يشارك في حياتنا مسبقًا، وأراد أن يعيش مسبقًا كرأس للجسد الذي سيكون الكنيسة، سواء في الجراح أم في التّعزيات. عندما نعيش في نعمة الله، هذه المشاركة المتبادلة تصير خبرة روحيّة. في النّهاية، فإنّ الرّبّ القائم من بين الأموات هو الذي يجعل ممكنًا لنا، بعمل النّعمة، أن نتّحد بآلامه بصورة سرّيّة. هذا ما تعرفه القلوب المؤمنة التي تعيش فرح القيامة، ولكنَّها تريد في الوقت نفسه أن تشارك في مصير ربّها. إنّها مستعدّة لهذه المشاركة بالآلام والمتاعب وخيبات الأمل والمخاوف التي تشكّل جزءًا من حياتها. إنّها لا تعيش هذا السّر في عزلة، لأنّ هذه الجراح هي أيضًا مشاركة في مصير جسد المسيح السّري الذي يسير في شعب الله المقدّس والذي يحمل معه مصير المسيح في كلّ زمان ومكان في التّاريخ. العبادة التي تسعى للتّعزية ليست غير تاريخيّة أو تجريديّة، بل تصبر جسدًا ودمًا في مسبرة الكنيسة.

النّدم

158. الرّغبة التي لا يمكن إلغاؤها في تعزية المسيح، والتي تبدأ بألَمنا عندما نتأمّل في ما تألّمه من أجلنا، تتغذى أيضًا من الاعتراف الصّادق بعبوديّاتنا الكثيرة، وتعلّقنا بأمور شتى، وعدم فرحنا بالإيمان، وسَعينا وراء أمور فانية، وبالإضافة إلى خطايانا العمليّة، عدم استجابة قلبنا لمحبّته ومخطّطه. إنّها خبرة تطهّرنا، لأنّ الحبّ يحتاج إلى تنقية الدّموع التي تصيّرُنا في النّهاية أكثر عطشًا لله وأقل هوسًا بأنفسنا.

159. وهكذا نرى أنّه كلّما تعمّقت الرّغبة في تعزية الرّبّ يسوع، تعمّق النّدم في قلب المؤمن، وهو "ليس الشّعور بالدّنب الذي يلقينا على الأرض، ولا هو وسواس يشلّنا، بل هو دافع خَيِّرٌ يضطرم في داخلنا ويشفي، لأنّ القلب عندما يرى الشّرّ في نفسه ويعترف بأنّه خاطئ، ينفتح ويقبل عمل الرّوح القدس، الماء الحيّ الذي يهزّه ويجعل الدّموع تنهمر على وجمه [...]. ولا هو نوع من التّوبة العاطفيّة، كما نميل غالبًا إلى ذلك [...]. بل أن نذرف دموع النّدم يعني أن نندم ندامة جادة لأنّنا أحزنًا الله بالخطيئة، ويعني أن نعترف بأنّنا مدينون دامًا ولا فضل لنا [...]. كما تحفر قطرة الماء الحجر، هكذا تحفر الدّموع شيئًا فشيئًا القلوب القاسية. بهذه الطّريقة نشهد معجزة الحزن، الحزن الجيّد الذي يؤدّي إلى العذوبة [...]. النّدم ليس ثمرة جمودنا، بل هو نعمة ويجب أن نطلبها في النّدم ليس ثمرة جمودنا، بل هو نعمة ويجب أن نطلبها في

الصّلاة"¹⁵⁹. هو أن نطلب "الألم مع المسيح المتروك، والعذاب مع المسيح المعذّب، والدّموع، والألم الحميم من أجل الألم الكبير الذي عاناه المسيح من أجلى "¹⁶⁰.

160. لذلك أطلب ألّا يستخفّ أحد من عبارات الحرارة في إيمان شعب الله المقدّس والأمين، الذي يسعى في تقواه الشّعبيّة إلى أن يعزّي المسيح. وأدعو كلّ واحد إلى أن يسأل نفسه أليس في هذه العبادة الشّعبيّة عقلانيّة، وحقيقة، وحكمة أكثر من بعض مظاهر هذا الحبّ الذي يسعى إلى أن يعزّي الرّبّ يسوع بأعال فيها برود وبُعدٌ وحسابات بشريّة، نقوم بها نحن الذين نزعم أنّ لنا إيمانًا فيه عقلانيّة وعمق ونضج أكثر.

نعزيه فنجد عزاءنا

161. في تأمّلنا في قلب المسيح، الذي بذل نفسه من أجلنا حتى النّهاية، نجد عزاءنا. الألم الذي نشعر به في قلوبنا يخلق فينا الثّقة الكاملة، وفي النّهاية ما يبقى هو الشّكر والحنان والسّلام، وتبقى محبّته التي تملك على حياتنا. فالتّدم "لا يسبّب القلق والاضطراب، بل يخفّف أثقال التفس، لأنّه يعالج جرح الخطيئة، ويجعلنا مستعدّين لاستقبال حنان الرّبّ

¹⁵⁹ عظة في قدّاس الميرون المقدّس، 28 آذار /مارس 2024: L'Osservatore أدار /مارس 2024، 2.

¹⁶⁰ القديس أغناطيوس دي لويولا، *الرّياضة الرّوحيّة*، 203، روما 1984، 160.

يسوع هناك حيث خطيئتنا"¹⁶¹. وآلامنا تتّحد مع آلام المسيح على الصّليب، لأنّنا عندما نقول إنّ التّعمة تسمح لنا بأن نتخطّى كلّ المسافات، فهذا يعني أيضًا أنّ المسيح، عندما تألّم، اتَّحد بكلّ آلام تلاميذه عبر التاريخ. وهكذا، إن تألّمنا، يمكننا أن نختبر التّعزية الدّاخليّة حين نعرف أنّ المسيح نفسه يتألّم معنا. نريد أن نعزيه، فنجد العزاء لأنفسنا.

162. وفي لحظة ما، في تأمّل القلب المؤمن، يجب أن يُسمَعَ فينا نداء الله الصّارخ: "عَزُّوا عَزُّوا شَعْبي، يقولُ إِلهُكم" (أشعيا 40، 1). وتتبادر إلى ذهننا كلمات القدّيس بولس الذي يذكّرنا بأنّ الله يعزّينا "لِنَستَطيعَ، بما نَتَلقَّى نَحنُ مِن عَزاءٍ مِنَ الله، أَن نُعَزِّيَ الَّذينَ هُم في أَيَّةِ شِدَّةٍ كَانَت" (2 قورنتس 1، 4).

163. وهذا يدعونا الآن إلى أن نحاول التعمُّق في أوجه العبادة الحقيقيّة لقلب المسيح، في الجماعة المؤمنة، وفي المجمّع، وفي الإرساليّات. في الواقع، يقودنا قلب المسيح إلى الآب، وفي الوقت نفسه يرسلنا إلى الإخوة. وفي ثمار الحدمة والأخوّة والرّسالة التي يصنعها قلب المسيح من خلالنا، تتمّ إرادة الآب. وبهذه الطريقة نصل إلى نهاية الدّائرة: "ألّا إنَّ ما يُمجَّدُ بِه أبي أن تُثْمِروا ثَمَرًا كثيرًا" (يوحنّا 15، 8).

¹⁶¹ عظة في قدّاس الميرون المقدّس، 28 آذار /مارس 2024: L'Osservatore Romano، 28 آذار /مارس 2024، 2.

الفصل الخامس الحبّ بالحبّ

164. في الخبرات الروحية للقديسة مارغريتا مريم، مع إعلانها المتقد لمحبتة يسوع، نجد أيضًا صدًى داخليًّا يدعونا إلى أن نبذل حياتنا. أن نعرف أنّنا محبوبون ونضع كلّ ثقتنا في هذا الحبّ لا يعني أن نلغي كلّ قدراتنا على العطاء، ولا يتطلّب أن نتخلّى عن الرّغبة التي لا يمكن كبتها في تقديم بعض الأعمال بقدراتنا الصّغيرة والمحدودة.

شكوي وطلب

165. منذ ظهور يسوع الثّاني الكبير للقدّيسة مارغريتا، عبّر لها عن ألمه لأنّ حبّه الكبير للبشر "يقابله عدم العرفان بالجميل واللامبالاة"، "والبرود في التّعامل والرّفض". "وهذا – يقول الرّبّ يسوع – يجعلني أتألّم أكثر من كلّ ما عانيته في آلامي "162.

166. تكلّم يسوع على عطشه لأن يكون محبوبًا، وأظهر لنا أن قلبه ليس قلبًا غير مبالٍ أمام ردّ فعلنا على رغبته: "أنا عطشان، وعطشًا شديدًا لأن يحبّني التّاس في سرّ القربان

¹⁶² القدّيسة مارغريتا مريم ألاكوك، *السّيرة النّاتية*، بند 55: روما 1983، 134.

الأقدس، لدرجة أنّ هذا العطش يكاد يفنيني. ومع ذلك، لا أجد من يسعى، حسب رغبتي، لأن يروي عطشي، ويُبادلني حبي "163. طَلَبُ يسوع هو الحبّ. عندما يكتشف قلب المؤمن هذا، فإنّ الرّدّ الذي ينشأ تلقائيًّا ليس بحثًا شاقًّا عن التضحيات أو مجرّد أداء واجب ثقيل، بل هو مسألة محبّة: "نلت من إلهتي نِعَمًا غير عاديّة من محبته، ودفعتني رغبتي على أن أبادله مِثلَها، وأن أبادل الحبّ بالحبّ "164. علم البابا لاون النّالث عشر وكتب أنّه من خلال صورة القلب الأقدس، حبّ يسوع "يدفعنا إلى أن نبادله الحبّ بالحبّ الحبّ الحبّ الحبّ. 165.

امتداد لحبّه في الإخوة

167. يجب أن نعود إلى كلمة الله لندرك أنّ أفضل جواب لحبتة قلب الله هي محبتة الإخوة. لا يوجد عمل أكبر يمكننا أن نقدّمه له لنبادله الحبّ بالحبّ. كلمة الله تقول بكلّ وضوح: "كُلَّا صَنعتُهُ شَمًّا من ذلك له احد من اخة تى هؤلاء الصّغان

"كُلَّما صَنعتُم شَيئًا مِن ذلك لِواحِدٍ مِن إِخوَتي هؤُلاءِ الصِّغار، فلي قد صَنعتُموه" (متّى 25، 40).

¹⁶³ المؤلّف نفسه، *الرّسالة* 133، 10: كتابات السّبرة اللّـاتيّة، روما 1984، 182-183.

¹⁶⁴ المؤلّف نفسه، الشيرة الذّاتية، بند 92، الأعمال المذكورة، 180.

¹⁶⁵ رسالة بابويّة عامّة، *السّنة المقدّسة - Annum sacrum*، 25 أيّار /مايو 1899، 8.

"لأَنَّ تَهَامَ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا فِي هذِهِ الكَلِمَةِ الواحِدة: «أَحبِبْ قَرِيبَكَ حُبَّكَ لِنَفْسِكَ»" (غلاطية 5، 14).

"نَحَنُ نَعَلَمُ أَنَّنَا انتَقَلْنا مِنَ المَوتِ إلى الحَياة، لأَنَّنا نُحِبُّ إِخوَتَنا. مَن لا يُحِبُّ بَقِيَ رَهْنَ المَوت" (1 يوحنّا 3، 14).

"لأَنَّ الَّذي لا يُحِبُّ أَخاه وهو يَراه لا يَستَطيعُ أَن يُحِبَّ اللهَ وهو لا يَراه" (1 يوحنّا 4، 20).

168. محبّة الإخوة لا نصنعها نحن وحدنا، وليست نتيجة جمدٍ طبيعيّ، بل تتطلّب تغييرًا في قلبنا الأنانيّ. إذّاك ينشأ فينا تلقائيًّا الابتهال المعروف: "يا يسوع، اجعل قلبنا مثل قلبك". ولهذا السّبب نفسه، لم تكن دعوة القدّيس بولس: "اجتهدوا في عمل الأعمال الصّالحة"، بل كانت دعوته: "فلْيَكُنْ فيما بَينَكُمُ الشُّعورُ الَّذي هو أيضًا في المسيح يَسوع" (فيلبي 2، 5).

169. من الجدير بالذّكر أنّه، في عهد الإمبراطوريّة الرّومانيّة، وَجَدَ الفقراء الكثيرون والغرباء والأشخاص المُبعَدون الكثيرون الآخرون الاحترام والمودّة والاهتمام لدى المسيحيّين. وهذا ما يفسّر فكر الإمبراطور يوليانس المرتدّ عن الإيمان، الذي تساءل عن سبب احترام المسيحيّين وأتباعهم، ورأى أنّ أحد الأسباب هو اهتمامهم بمساعدة الفقراء والغرباء، بينما تجاهلتهم الإمبراطوريّة واحتقرتهم. بالنسبة لهذا الإمبراطور، كان الأمر لا يطاق بأنّ فقراء الإمبراطوريّة لم يكونوا يتلقون مساعدة منه،

بينها المسيحيّون المكروهون "كانوا يُطعمون فقراءهم، وأيضًا فقراء الإمبراطوريّة" 166. فركّز في إحدى رسائله بصورة خاصّة على الأمر بإنشاء مؤسّسات خيريّة لتتنافس مع المسيحيّين وتجذب احترام المجتمع: "افتتح بيوت مضافة كثيرة في كلّ المدن، حتى يستطيع الغرباء أن يتمتّعوا بأعمالنا الإنسانيّة. [...] وعَوَّدَ الهيلينيّين على أعمال المحبّة "167. لكنّه لم يحقّق هدفه، بالتّأكيد لأنّه لم تكن محبّة مسيحيّة في هذه الأعمال، المحبّة التي تعترف أنّ كلّ إنسان له كرامة فريدة.

170. تماهى يسوع مع أصغر التاس في المجتمع (راجع متى 25، 31 – 46) "فأتى بتجديد كبير، وهو الاعتراف بكرامة كل شخص، وأيضًا ولا ستيا الأشخاص الموصوفين بأنهم "لا كرامة لهم". هذا المبدأ الجديد في تاريخ البشريّة، والذي صار بموجبه أكثر التاس استحقاقًا للاحترام والحبّ، هم أكثر هم ضعفًا وبؤسًا وعذابًا، حتى لو فقد صورته البشريّة، غير وجه العالم، فأوجد المؤسسات التي تعتني بالأشخاص الذين يعيشون في الحرمان: الأطفال المتروكين، والأيتام، والمستين المتروكين وحدهم،

¹⁶⁶ يوليانوس، الرسالة XLIX إلى أرساشيوس أسقف غلاطيّة، Mainz . 1828، 90-19.

¹⁶⁷ المرجع نفسه.

والمرضى العقليّين، والمصابين بأمراض غير قابلة للشّفاء أو يعانون من تشوُّهات خطيرة، أو يعيشون في الشّوارع"¹⁶⁸.

171. وأيضًا من ناحية قلب يسوع المجروح، النظر إلى الرّبّ يسوع، الذي "أَخَذَ أَسقامَنا وحَمَلَ أَمراضَنا" (متى 8، 17)، يسوع، الذي "أَخَذَ أَسقامَنا وحَمَلَ أَمراضَنا" (متى 8، 17)، يحملنا على مزيد من الاهتمام بآلام واحتياجات الآخرين، ويقوِينا للمشاركة في عمله لتحرير الإنسان، فنكون أدوات لنشر محبّته. 169 إن تأمّلنا في العطية نفسها التي قدّمها المسيح للجميع، يصير من المحبّم أن نتساءل لماذا لسنا قادرين على أن نبذل حياتنا من أجل الآخرين: "وانّما عَرَفْنا المَحبّة بِأَنَّ ذاكَ قد بَذَلَ نَفْسَه في سَبيلنا، فعلينا نَحَنُ أَيضًا أَن نَبذُلَ نَفوسَنا في سَبيل إخوَتِنا" (1 يوحنّا 3، 16).

بعض الأصداء في تاريخ الرّوحانيّة

172. هذه الوَحدة بين عبادة قلب يسوع والالتزام نحو الإخوة، نجدها في كلّ تاريخ الرّوحانيّة المسيحيّة. لننظر في بعض الأمثلة.

¹⁶⁸ دائرة عقيدة الإيمان، إعلان الكرامة التي لا حدود لها، 2 نيسان البريل 168 دائرة عقيدة الإيمان، إعلان 2024. 4 نيسان البريل 2024.

¹⁶⁹ راجع بندكتس السادس عشر ، رسالة إلى الرئيس العام للرهبنة اليسوعيّة في الدّكرى الخسسين للرّسالة البابويّة العّامة تستقون المياه (Haurietis)، 15 أيّار (مايو 2006)، 25 أيار (المايو 2006) أيّار الكرستيّ الرّسوليّ 98 ((2006) 461).

ينبوع للآخرين

173. فسر آباء كنيسة كثيرون، بعد أوريجانس، نص يوحنا 7، 38 - "ستَجْري مِن جوفِه أَنهارٌ مِنَ الماءِ الحَيّ" - بمعنى أنّ هذه إشارة إلى المؤمن نفسه، لأنّه هو نفسه شرب من المسيح. وهكذا فإنّ الاتحاد بالمسيح لا يهدف فقط إلى إرواء عطشنا، بل إلى أن نصير ينبوع ماء عذب للآخرين. كان أوريجانس يقول إنّ المسيح يحقق وعده عندما يفجّر فينا ينابيع من الماء: "إنّ نفسَ الإنسان التي هي على صورة الله تستطيع أن تحتوي في ذاتها وأن تعطي من ذاتها الآبار والينابيع والأنهار "170.

174. أوصى القديس أمبروزيوس أنْ اشرَبُوا من المسيح "لكي يفيض فيكم ينبوع الماء ويتفجَّر حياةً أبديّة" 171. ويؤكّد ماريو فيتورينو (Mario Vittorino) أنّ الرّوح القدس يُعطَى بوفرة "ومن يقبله يصير مُجَمَّع ماء تفيض منه من جديد أنهارٌ من الماء الحيّ "172. وقال القدّيس أغسطينس إنّ هذا النّهر

¹⁷¹ الرّسالة 29، 24: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 16، 1060.

¹⁷² الرّب على آريوس 1 - 1 Adv. Arium؛ المؤلّفات لآباء الكنيسة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتبنتة 8، 1044.

الذي ينبع من المؤمن هو نهر المودّة. 173 وكرر القدّيس توما الأكويني هذه الفكرة بقوله إنّه عندما "يسرع أحدٌ للمشاركة مع غيره مختلف مواهب النّعمة التي قبِلَها من الله، فإنّ الماء الحيّ يجري ويتدفّق من صدره "174.

175. في الواقع، إن كانت "ذبيحة الصليب، التي يقدّمها يسوع بنفس محبّة ومطيعة، تقدِّم تعويضًا فائضًا وغير محدود، عن خطايا الجنس البشريّ "¹⁷⁵، فالكنيسة، التي تُولد من قلب المسيح، تكمِّل وتُشرِك الجميع، في كلّ زمان ومكان، في آثار الآلام الفريدة الفادية التي تقود الإنسان إلى الاتّحاد المباشر مع الرّبّ يسوع.

176. في داخل الكنيسة، لا يمكن فهم وساطة مريم، الشّفيعة والأم، إلّا "بكونها مشاركة في هذا الينبوع الوحيد الذي هو وساطة المسيح نفسه" 176، الفادي الوحيد، و"الكنيسة لا

173 المجلّد في شرح إنجيل يوحنّا 32، 4: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 35، 1643.

¹⁷⁴ في إنجيل القديس يوحنا، الفصل VII، القراءة 5.

Haurietis - بيوس الثّاني عشر، رسالة بابويّة عامّة، تستقون المياه - 155 (1956)، 231. (1956) أيَّار /مايو 1956، 1956 أيَّار /مايو 1956، أنَّا الكَرسيّ الرّسوليّ 48 (1956)، 211 القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، رسالة بابويّة عامّة، أمّ الفّادي - 166 القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، رسالة بابويّة عامّة، أمّ الفّادي - 176 أذار /مارس 1987، 38: أعمال الكرسيّ الرّسوليّ 79 (1987)، 411.

تتردد في الاعتراف بدور مريم المرتبط بيسوع"177. العبادة القلب مريم، في الواقع، لا تريد أن تنزع شيئًا من العبادة الفريدة لقلب المسيح، بل تزيدها: "رسالة مريم الوالديّة تجاه البشر لا تحجب أو تقلّل بأيّ شكل من الأشكال من شأن وساطة المسيح الفريدة، بل تبيّن فعّاليّتها"178. بفضل الينبوع الغزير الذي يتدفّق من جنب المسيح المفتوح، تصير الكنيسة ومريم وجميع المؤمنين، بطرق مختلفة، قنوات للهاء الحيّ. هكذا المسيح نفسُه يكشف مجده في تواضع طبيعتنا.

أخُوّة وتصوّف

177. دعانا القديس برناردس إلى الاتحاد بقلب المسيح، واستخدم غِنَى هذه العبادة ليقترح علينا تغييرًا في الحياة على أساس المحبة. اعتبر أنّ هناك إمكانيّة تحوّل العاطفة، المستعبدة للملذات، التي لا تتحرّر بالطّاعة العمياء لوصيّة ما، بل بالاستجابة لعذوبة محبّة المسيح. الشّر نتجاوزه بالخير، الشّر نهزمه بمزيد من المحبّة: "أحبِب إذًا الرّب إلهك من كلّ ملئ عاطفة قلبك، أحبِبْه بكلّ سَهَرِك وحذر عقلك، وأحبِبْه أيضًا عاطفة قلبك، الدرجة أنّك لا تخاف حتى أن تموت من أجل محبّته بكلّ قوتك، لدرجة أنّك لا تخاف حتى أن تموت من أجل محبّته إلى الرّب يسوع عذبًا ولطيفًا على قلبك، لقاومة [...]. ليكن الرّب يسوع عذبًا ولطيفًا على قلبك، لمقاومة

¹⁷⁷ المجمع الفاتيكاني التّاني المسكونيّ، دستور عقائدي، نور الأم - Lumen ، المجمع الفاتيكاني التّاني المسكونيّ، دستور عقائدي، نور الأم

¹⁷⁸ المرجع نفسه ، 60.

ملذّات الجسد التي هي عذبة بشكلٍ سيّء، ولتتغلّب العذوبة على العذوبة كما يدق مسارٌ مسارًا آخر "¹⁷⁹.

178. وجد القديس فرنسيس دي سالِس نورًا خاصًّا في طلب يسوع: "تَتَلَمَذُوا لِي فَإِنِي وَديعٌ مُتُواضِعُ القَلْب" (متَّى 11، 29). وكان يقول: بهذه الطّريقة، في أبسط الأمور وفي الأمور العاديّة، نسرق قلب الرّبّ يسوع: "سيكون مسرورًا المُّمّة وفي منّا فقط إن اهتمنا بخدمته جيّدًا في الأشياء المهمّة وفي الصّغيرة والتي لا معنى لها، وبهذه أو بتلك يمكننا أن نسرق قلبه [...]. أعال المحبّة اليوميّة الصّغيرة، وصداع في الرّأس، ووجع أسنان، ووعكة صحيّة، ومضايقة من الزّوج أو الزّوجة، ومزهريّة تنكسر، وقلّة تهذيب أو أيّة حركة، وفقدان القفازات أو الخاتم أو المنديل، وجُهد بسيط لكي نذهب إلى الفراش بأكرا، والاستيقاظ بأكرا للصّلاة، ولتناول القربان الفراش والخجل الحقيّ الذي نشعر به عندما نقوم ببعض المقدّس، والحجل الحقيّ الذي نشعر به عندما نقوم ببعض أعال العبادة علنًا: باختصار، كلّ التناقضات الصّغيرة التي نلقاها، إذا قبلناها بمحبّة، فإنّها ترضي الصّلاح الإلهيّ بما لا يُقدّر "180. ولكن، في النّهاية، مفتاح استجابتنا لمحبّة قلب

¹⁷⁹ عظة في سفر نشيد الأناشيد، XX، 4: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 183، 869.

¹⁸⁰ مدخل إلى حياة العبادة، الجزء III، الفصل XXXV: الأعبال الكاملة للقدّيس فرنسيس دي ساليس، المجلّد 3: فيلوثيا. مدخل إلى حياة العبادة، روما 2009، 220-221.

المسيح هو محبتة القريب: "محبتة راسخة، ثابتة، لا تتغيّر، ولا تتوقّف عند التفاهات ولا عند صفات أو أحوال الأشخاص، ولا تخضع لتغيّرات أو ميول في المزاج. [...] ربّنا يسوع المسيح يحبّنا دون انقطاع، ويتحمّل عيوبنا ونقائصنا. لذلك يجب علينا أن نفعل الشّيء نفسه مع إخوتنا، فلا نتعب أبدًا من الصّبر عليهم "181.

179. أراد القديس شارل دي فوكو أن يقتدي بيسوع، وأن يعيش مثله، وأن يتصرّف كما تصرّف، وأن يعمل دامًا ماكان سيعمله يسوع لوكان مكانه. ولتحقيق هذا الهدف كاملًا، كان بحاجة إلى أن يكون فيه ما في قلب المسيح من مشاعر. وهكذا تظهر العبارة "الحبّ بالحبّ" مرّة أخرى، عندما يقول: "أرغب في الآلام لأبادله الحبّ بالحبّ، [...] ولأشارك في عمله، وأقدّم نفسي معه، أنا العدم، ذبيحةً، وضعيّة، من أجل تقديس البشر "182. الرّغبة في حمل محبّة يسوع إلى الغير، وفي رسالته بين الفقراء والمنسيّين على الأرض، دفعته إلى اتّخاذ الشّعار "يسوع محبّة"، مع رمز قلب المسيح الذي يعلوه الشّعار "يسوع محبّة"، مع رمز قلب المسيح الذي يعلوه

¹⁸¹ عظة الأحد السّابع عشر بعد العنصرة.

¹⁸² يسوع وآلامه، رياضة روحيّة في النّاصرة، 5-15 تشرين الثّاني/نوفمبر 1987: شارل دي فوكو، الحياة المخفيّة. رياضات روحيّة في الأرض المقدّسة (1897-1900)، روما 1974، 72.

صليب. 183 لم يكن قرارًا سطحيًّا: "بكلّ قوّتي أحاول أن أبيّن وأثبت لهؤلاء الإخوة الفقراء الضّائعين أنّ ديانتنا كلّها محبّة، وكلّها أخوّة، وأنّ شعارها هو القلب "184. وكانت رغبته أن يستقرّ مع إخوة آخرين "في المغرب باسم قلب يسوع "185 وبهذه الطريقة، ستكون محمّتهم كمبشّرين بالإنجيل، طريقة الإشعاع: "يجب أن تشّع المحبّة من أديرة الأخُوّة، كما تشّع من قلب يسوع "186. هذه الرّغبة جعلته تدريجًا أخًا كونيًّا لأنّه أراد قلب يسوع "186. هذه الرّغبة المتألّمة في قلبه الأخويّ، عندما ترك نفسه تتكوّن على مثال قلب المسيح: "يجب على قلبنا، مثل قلب الكنيسة، ومثل قلب يسوع، أن يعانق جميع البشر "187.

183 من 19 آذار/مارس 1902، كانت رسائله كلّها مُعَنوَنة بالكلمتَين: يسوع محبّة، ويفصل بنها قلب يعلوه صليب.

¹⁸⁴ رسالة إلى الأب هوفلين (Huvelin)، 15 تموز /يوليو 1904: المؤلَّفات التو حيّة، روما 1983، 1983.

¹⁸⁵ رسالة إلى الأب مارتين، 25 كانون الثّاني/يناير 1903: شارل دي فوكو، هذا المكان الأخير العزيز. رسائل إلى إخوتي الترابيست، باريس، 2012، 311.

¹⁸⁶ ورد في رينيه فوالوم (René Voillaume)، أديرة الأخُوّة للأب دي فوكو، باريس 1946، 173.

¹⁸⁷ تأمّلات من الأناجيل المقدّسة في المقاطع التي لها صلة بالفضائل الحمس عشرة، المتاصرة 1897-1898، المحتبة 77 (مثّى 20، 28): شارل دي فوكو، تأمّلات من الأناجيل المقدّسة في المقاطع التي لها صلة بالله وحده، والإيمان والرّجاء والمحتبة (1897-1898)، روما، 1973، 325.

"محبّة قلب يسوع للبشريّة، المحبّة التي أظهرها في آلامه، هي المحبّة التي يجب أن نكنَّها لجميع البشر "188.

180. قال الأب هوفلين، المرشد الروحي للقديس شارل دي فوكو: "عندما يسكن الربّ يسوع في القلب، فإنّه يمنحه هذه المشاعر، وهذا القلب يتنازل ويدنو من الصّغار. وهذا كان استعداد القلب في منصور دي بول أيضًا [...] عندما يكون الرّبّ يسوع هو الحيُّ في نفس كاهن، فإنّه يميل به نحو الفقراء الرّبّ يسوع هو الحيُّ في نفس كاهن، فإنّه يميل به نحو الفقراء [...]" 1981. من المهمّ أن نلاحظ أنّ هذا التفاني في القديس منصور دي بول، الذي وصفه الأب هوفيلين، قد تغذّى أيضًا بالعبادة لقلب المسيح. كان القديس منصور دي بول يدعو الفقير ". 190 ولكي يتحقّق ذلك، من الضّروري أنّ يكون القلب المقير ". 190 ولكي يتحقّق ذلك، من الضّروري أنّ يكون القلب قد تحوّل وتبدّل بمحبّة قلب المسيح ووداعته، وقد كرر القديس منصور دي بول هذه القناعة كثيرًا في مواعظه وضائحه، حتّى جعلها عنصرًا أساسيًا في قوانين رهبنته: "الجميع وضائحه، حتّى جعلها عنصرًا أساسيًا في قوانين رهبنته: "الجميع

¹⁸⁸ المرجع نفسه، المحتبة 90 (متّى 27، 30): الأعمال المذكورة، 338.

¹⁸⁹ الأب هوفلين، بعض مرشدي التفوس في القرن السّابع عشر، باريس 1911، 97.

¹⁹⁰ راجع محاضرة إلى راهبات بنات المحبّة، 85، 11 تشرين الثّاني/نوفمبر 1657، "خدمة المرضى والاهتام بصحّتهم"، قوانين عامّة، الأعداد 12-16: القدّيس منصور دي بول، الأعمال، المجلّد 9، روما 2008، 757.

سيبذلون قُصارَى جَمدهم أيضًا ليتعلّمو هذا الدّرس الذي علّمنا إيّاه يسوع: تَتَلَمَذُوا لِي فَإِنِّي وَديعٌ مُتواضِعُ القَلْب، ويجب أن نتذكّر، كما قال هو نفسه: بالوداعة نملك الأرض، لأنّه إن مارسنا هذه الفضيلة نكسب قلوب النّاس ونحوّلهم إلى الله، وهذا ما لا يمكن أن نحصل عليه من الذين يتصرّفون مع القريب بطريقة قاسية وسيّئة "191.

التّعويض: البناء على الأنقاض

181. كلّ هذا يسمح لنا بأن نفهم، في ضوء كلمة الله، المعنى الذي يجب أن نعطيه "للتعويض" المقدّم لقلب المسيح، وما الذي ينتظره الرّب يسوع منّا حقًّا أن نعوض عنه بمساعدة نعمته. دار نقاش كثير في هذا الأمر، والقدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني قدَّم جوابًا واضحًا ليرشدنا نحن المسيحيّين اليوم إلى روح تعويضٍ أكثر انسجامًا مع الإنجيل.

المعنى الاجتماعي للتعويض لقلب المسيح

182. أوضح القديس البابا يوحنا بولس النّاني أنّه بتقديم أنفسنا معًا لقلب المسيح، "على أنقاض الكراهية والعنف، سنتمكّن من بناء حضارة المحبّة المنشودة، مملكة قلب المسيح"، وهذا يعني بالتّأكيد أنّنا قادرون على أن "نوحِّد المحبّة البنويّة نحو الله

¹⁹¹ قوانين وأنظمة لرهبنة الرّسالة، روما 1984، 110.

مع محبّة القريب"، وأكد بقوة أنّ "هذا هو التعويض الحقيقيّ الذي يطلبه قلب المخلّص" 192. نحن مدعوّون، مع المسيح، إلى بناء حضارة محبّة جديدة، على الدّمار الذي خلّفناه في هذا العالم مع خطيئتنا. هذا يعني أن نعوّض، كما يريد قلب المسيح ذلك منّا. في وسط الكارثة التي خلّفها الشّرّ، قلب المسيح يريد تعاوننا لنبني من جديد الخير والجمال.

183. أكيد أنّ كلّ خطيئة تضرّ بالكنيسة والمجتمع، لذلك "كلّ خطيئة يمكن أن يقال فيها إنَّ لها بعدًا اجتماعيًا"، ولو كان هذا صحيحًا خاصّة بالنسبة لبعض الخطايا التي هي، "في جوهرها، اعتداء مباشر على القريب" 193. وأوضح القديس البابا يوحنّا بولس الثّاني أنّ تكرار هذه الخطايا ضدّ الآخرين يؤدّي غالبًا إلى ترسيخ "بُنيّة الخطيئة" التي تؤثّر على تطوّر الشّعوب. 194 وهذا غالبًا جزءٌ من عقليّة محيمنة تعتبر أمرًا طبيعيًّا وعقلانيًّا ما

¹⁹² رسالة إلى الرئيس العام للرهبنة اليسوعية ، Paray le Monial ، 5 تشرين الأوّل /أكتوبر الأوّل /أكتوبر 1986 ، *L'Osservatore Romano* ، 6 تشرين الأوّل /أكتوبر 1986 ، 7.

¹⁹³ القديس يوحمًا بولس الثّاني، الإرشاد الرّسوليّ بعد السّينودس، المصالحة والتوبة - Reconciliatio et Paenitentia 2 كانون الأوّل/ديسمبر 1984، 16: أعهال الكرستي الرّسوليّ 77 (1985)، 213. 217.

¹⁹⁴ راجع المؤلّف نفسه، الرّسالة البابويّة العامّة، الاهتمام بالشّأن الاجتماعي - 1987 واجع المؤلّف نفسه، الرّسالة البابويّة العامّة، الاهتمام بالمّرسق الترسوليّ 30 (1988)، 562-562.

هو في الحقيقة فقط أنانيّة ولامبالاة. هذه الظّاهرة يمكننا أن نسمّيها بالاغتراب الاجتاعيّ: "فالمجتمع يكون مغتربًا، عندما يجعل كلّ تنظياته في المجتمع، للإنتاج أو الاستهلاك، مثل عراقيل أمام تحقيق هذا العطاء وتأسيس هذا التضامن بين البشر"¹⁹⁵. ليس فقط المعيار الأخلاقيّ هو الذي يدفعنا إلى مقاومة هذه الهيكليّات الاجتماعيّة المغتربة، وكشفها، والتوصل لديناميكيّة اجتماعيّة تستعيد الخير وتبنيه، بل هي "توبة القلب" التي "تفرض الواجب"¹⁹⁶ للتعويض ولإصلاح هذه الهيكليّات. إنّه جوابنا على قلب يسوع المسيح المحبّ الذي يعلّمنا أن نحِبّ.

184. ولأنّ التعويض الإنجيليّ له هذا المعنى الاجتماعيّ القوّي، فإنّ أعمال المحبّة والحدمة والمصالحة التي نقوم بها، لكي يكون فيها تعويض بصورة فعّالة، تتطلّب أن يدفعها المسيح، ويحرّكها، ويجعلها ممكنة. قال القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني أيضًا: لبناء حضارة المحبّة تحتاج البشريّة اليوم إلى قلب المسيح. 197 لا يمكن فهم التّعويض المسيحيّ فقط على أنّه المسيحيّ فقط على أنّه

¹⁹⁵ المؤلّف نفسه، الرسالة البابويّة العامّة، *السَّسنة المِئّة - Centesimus annus*. 1 أيّار /مايو 1991، 41: *أعال الكرستي التسوليّ* 83 (1991)، 844.

¹⁹⁶ التّعليم المسيحتي للكنيسة الكاثوليكيّة ، 1888.

¹⁹⁷ راجع التّعليم المسيحيّ أثناء المقابلة العامَّة، 8 حزيران/يونيو 1994، 2. L'Osservatore Romano، وحزيران/يونيو 1994، 5.

مجموعة من الأعمال الخارجيّة، والتي لا بدَّ منها أيضًا وهي أحيانًا أعمال عجيبة، إنّا يتطلّب التعويض روحانيّة، ونفَسًا، ومعنى يمنحها القوّة والاندفاع والإبداع بلاكلل. وهي بحاجة إلى الحياة والنّار والنّور التي تأتي من قلب المسيح.

تعويض القلوب المجروحة

185. من جمة أخرى، التعويض الخارجيّ فقط لا يكفي لا للعالم ولا لقلب المسيح. لو فكّر كلّ واحد في خطاياه وعواقبها على الآخرين، لاكتشف أنّ تعويض الضّرّر الذي ألحقه بهذا العالم يجب أن يتضمّن أيضًا الرّغبة في التّعويض للقلوب التي جُرِحَت، والتي حدث فيها الضّرّر الأعمق، والجرح الأكثر إيلامًا.

186. روح التعويض "يدعونا إلى أن نملاً قلبنا بالأمل في إمكانية شفاء كل جرح، مما كان عميقًا. قد يبدو التعويض الكامل أحيانًا مستحيلًا، عندما تكون الممتلكات أو الأحبّاء قد هلكوا بصورة دائمة، أو عندما تصير بعض الحالات غير قابلة للإصلاح. لكن نية التعويض، والتعويض بصورة عملية، أمر ضروري لعملية المصالحة وعودة السلام في القلب"198.

¹⁹⁸ كلمة للمشاركين في النّدوة اللّوليّة "إصلاح ما لا يمكن إصلاحه"، في النّدوى 350 لظهور يسوع في Paray-le-Monial، 4 أيّار /مايو 2024: 12. (مايو 2024). 1 أيّار /مايو 2024، 12.

جهال طَلبِ المغفرة

187. النيّة الحسنة لا تكفي. لا بدَّ من ديناميكيّة الرّغبة الدّاخليّة، التي تسبّب نتاجُ خارجيّة. باختصار، "التعويض، لكي يكون مسيحيًّا، ويلمس قلب الشّخص المهان، ولا يكون عملًا بسيطًا من أعمال العدل التبادليّ، يفترض موقِفَين متطلّبيّن: الاعتراف بالذّنب وطلب المغفرة. [...] ومن هذا الاعتراف الصّادق بالضّرر الذي لحق بالأخ، ومن الشّعور العميق والصّادق بأنّ الحبّ قد جُرِح، تنشأ الرّغبة في التّعويض "199.

188. علينا ألّا نفكر أنّ الاعتراف بالخطيئة أمام الآخرين هو أمرٌ محينٌ أو ضارٌ بكرامتنا الإنسانية. بل بالعكس، هو التوقّف عن الكذب على الذّات، وهو الاعتراف بتاريخنا كما هو، متَّسِمًا بالخطيئة، خاصّة إذا أسأنا إلى إخوتنا: "شكوى الذّات هو جزء من الحكمة المسيحيّة. [...] وهذا يُرضي الرّبّ يسوع، لأنّه يقبل القلب المنسحق "200.

¹⁹⁹ المرجع نفسه.

²⁰⁰ عظة في قداس الصّباح في بيت القدّيسة مارتا ، 6 آذار / مارس 2018: مارس 2018، 8.

189. عادة طلب المغفرة من الإخوة، هو جزء من روح التَّعويض، وهو نُبُل كبير في وسط ضعفنا. طَلَبُ المغفرة هو وسيلة لشفاء العلاقات لأنّه "يفتح الحوار من جديد ويُظهِر الرّغبة في استئناف الرّباط في المحبّة الأخويّة. [...] وهذا يمسّ قلب الأخ ويعزّيه ويحتّه على قبول المغفرة المطلوبة". وبالتّالي، "إن لم يكن ممكنًا شفاء ما لا يمكن شفاؤه بصورة كاملة، فالحبّ يمكن أن يُولَد دامًا من جديد، ويجعل الجرح محتملًا"²⁰¹.

190. القلب القادر على النّدم يمكن أن ينمو في الأخوّة والتضامن، لأنّ "الذين لا يبكون يشيخون في داخلهم، أمّا الذين يرفعون صلاة بسيطة وحميمة، فيها سجود وتأثُّرُ أمام الله، فإنّهم ينضجون. ويصيرون أقلّ تعلّقًا بأنفسهم ويزدادون تعلّقًا بالمسيح، ويصيرون فقراءً بالرّوح. وبهذه الطّريقة، يشعرون بأنَّهم أقرب إلى الفقراء، وأنَّهم أحبَّاء الله"202. إذَّاك تولد روح حقيقيّة للتعويض، لأنّ "النّادم في قلبه يشعر أكثر من غيره بأنَّه أخٌ لجميع الخطأة في العالم. يشعر أنَّه أخٌ دون أيِّ مظهر من الاستعلاء أو القسوة في الحكم، ويشعر دامًّا بالرّغبة في أن

²⁰¹ كلمة للمشاركين في التدوة الدولية "إصلاح ما لا يمكن إصلاحه"، في الذَّكرى 350 لظهور يسوع في Paray-le-Monial ، 4 أيَّار /مايو 2024: .12 ،2024 مايو 4 ،L'Osservatore Romano

²⁰² عظة في قدّاس المبرون المقدّس، 28 آذار لمارس 2024 L'Osservatore Romano، 28 آذار /مارس 2024، 2.

يحبّ ويعوِّض "203. هذا التضامن الذي يُولَدُ من الندم يجعل، في الوقت نفسه، المصالحة ممكنة. فالشّخص القادر على الندم، "بدلًا من أن يغضب أو أن يتشكّك من شرّ ارتكبه إخوته، يبكي على خطاياهم. فهو لا يتشكّك. ويحدث نوع من الانقلاب في النفس، إذ الميل الطبيعيّ لأن نكون رحاء تجاه أنفسنا ومتشدّدين تجاه الآخرين، ينقلب ونصير بنعمة الله، متشدّدين مع أنفسنا ورحاء تجاه الآخرين "204.

التّعويض: امتداد لقلب المسيح

191. هناك طريقة تكميليّة أخرى لفهم التّعويض، تسمح لنا بوضعه في علاقة مباشرة مع قلب المسيح، دون أن نستبعد من هذا التّعويض الالتزام العمليّ تجاه إخوتنا وأخواتنا الذين تكلّمنا عنهم.

192. أكَّدتُ في سياقٍ آخر، أنّ الله "بطريقة ما، أراد الحدّ من نفسه، نوعًا ما"، و"حيث نجد أشياء عديدة، نعتبرها شرورًا أو أخطارًا أو أسباب معاناة، إنّا هي في الواقع جزء من آلام الولادة وتدفعنا إلى أن نتعاون مع الخالق"²⁰⁵. تعاوننا

²⁰³ المرجع نفسه.

²⁰⁴ المرجع نفسه.

²⁰⁵ رسالة بابويّة عامّة ، كُنْ مُسَبَّكًا ، 24 أيّار /مايو 2015 ، 80: *أعمال الكرسيّ* . 101 (2015) ، 879 . ا*لترسوليّ* 107 (2015) ، 879 .

مع الله يقدر أن يسمح لقدرته ومحبّته بأن تنتشرا في حياتنا وفي العالم، بينما الرّفض أو اللامبالاة يمنعان ذلك. بعض العبارات من الكتاب المقدّس تعبّر عن ذلك بصورة مجازيّة، مثلًا، عندما يشتكي الله: "إن رَجَعت، يا إسْرائيل، يقولُ الرّب، إن رَجَعت إلَيّ" (إرميا 4، 1). أو عندما قال أمام شعبه الذي رفضه: "قدِ انقلَبَ في فؤادي واضطرَمَت أحشائي" (هوشع 11، 8).

193. لا يمكننا أن نتكلًم على ألم جديدٍ للمسيح الممجّد، لكن اسر المسيح الفصحي [...] والمسيح كلّه بما هو وكل ما صنعه وتحمّله في سبيل النّاس أجمعين يشترك في الحياة الأبديّة الإلهيّة ويشمل هكذا جميع الأزمان وهو حاضر فيما"²⁰⁶. إلّا أنّه يمكننا القول إنّه هو نفسه رضي بالحدّ من مجد قيامته الفائض، وبإيقاف انتشار محبّته الكبيرة والمتقدة لكي يُفسح المجال لتعاوننا الحرّ مع قلبه. وهذا حقيقيّ جدًّا لدرجة أنّ رفضنا له يوقفه في اندفاعه للعطاء، وكذلك ثقتنا به وتقدمة ذاتنا له يفتح مجالًا، وتوفّر قناةً حرّة من العوائق لتدفّق محبّته. رفضنا له أو لامبالاتنا يحدّان من تأثير قوته وتأثير حبّه فينا. فإن لم يجد في الثقة والانفتاح، يُحرَمُ حبُّه امتداده في حياتي الفريدة وغير المتكرّرة، في العالم الذي يدعوني فيه إلى أن أجعله حاضرًا، هذه إرادته. وهذا ليس علامة ضعف فيه، بل دليل حرّيته التي لا حدَّ

²⁰⁶ التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة ، رقم 1085.

لها، وقدرته التي تبدو لنا متناقضة، وكمال محبّته لكلّ واحد منّا. وعندما تظهر قدرة الله المطلقة في ضعف حرّيتنا، "الإيمان وحده يستطيع أن يعرف ذلك"²⁰⁷.

194. في الواقع، رَوَت القدّيسة مارغريتا مريم أنّه في إحدى ظهورات المسيح لها، كلّمها على قلبه المضطرم بالحبّ لنا، والذي "لمّا لم يكن قادرًا بعد على احتواء نيران حبّه المتّقد في داخله، شعر بحاجة لأن ينشرها"²⁰⁸. وبما أنّ الله القدير، في حرّيته الإلهيّة، يحتاج إلينا، يُغهَمُ التّعويض على أنّه إزالة للعقبات التي نضعها أمام انتشار محبّة المسيح في العالم، بسبب قلّة الثقة فينا والشّكر والتفاني.

تقدمة الحبّ

195. لكي نتأمّل بشكل أفضل في هذا السّرّ، تأتي لمساعدتنا مرّة أخرى روحانيّة القدّيسة تريزا الطّفل يسوع المضيئة. علِمَت أنّ بعض النّاس قد طوّروا شكلًا مبالغًا فيه من أشكال التّعويض، بنيَّتهم الحسنة لتقدمة ذاتهم من أجل الآخرين، يقدّمون ذاتهم نوعًا من "مانعة الصّواعق" حتى يتحقّق العدل الإلهتي: "كنت أفكّر في التقوس التي تقدّم ذاتها ذبيحة لعدل

²⁰⁷ المرجع نفسه، رقم 268.

²⁰⁸ السّبرة النّاتيّة ، روما 1983 ، 131

الله، لتبعد العقاب عن الخطأة وتحوّلها إلى ذاتها"209. ومحما بدت تقدمة الدّات هذه رائعة، إلّا أنّها لم تكن مقتنعة بها تمامًا: "كنت أبعد من أن أندفع إلى القيام بها"210. وأدّى هذا الإصرار على العدل الإلهتي في النّهاية إلى التّفكير بأنّ ذبيحة المسيح كانت غير كاملة أو كانت فعّالة جزئيًّا فقط، أو أنّ رحمته لم تكن كثيفة بصورة كافية.

196. اكتشفت القديسة تريزا، بحدْسها الرّوحي، أنّ هناك طريقة أخرى لتقديم الدّات، حيث لا حاجة لإرواء العدل الإلهتي، بل لتسمح لمحبّة الله اللامتناهية بأن تنتشر دون عقبات: "يا إلهتي، هل سيبقى حبّك المزدرى داخل قلبك؟ أعتقد أنّه لو وجَدتَ نفوسًا تقدّم ذاتها ضحايا محرقة لحبّك، لأذَبّهَا بسرعة. وأعتقد أنّك ستكون سعيدًا بألّا تحبس سيول الحنان اللامتناهي فيك"²¹¹.

197. ليس هناك ما نضيفه إلى ذبيحة المسيح الفدائية الفريدة، لكنّه صحيح أنّ رفض حريتنا لا يسمح لقلب المسيح بأن يفيض "موجات حنانه غير المحدود" في هذا العالم. ولذلك

²⁰⁹ القدّيسة تريزا الطّفل يسوع من ليزيو ، *المخطوطة A،* °84r: *الأعمال الكاملة* ، روما 1997، 210-210.

²¹⁰ المرجع نفسه، الأعمال المذكورة، 210.

²¹¹ المرجع نفسه.

يريد الرّب نفسه أن يحترم هذه الإمكانيّة. هذا ما يثير الاضطراب في قلب القدّيسة تريزا الطّفل يسوع، أكثر من العدل الإلهيّي، لأنّ العدل، في نظرها، لا يمكن أن يُغهَم إلّا في ضوء الحبّ. وقد رأينا أنّها كانت تسجد لكلّ الكمالات الإلهيّة من خلال الرّحمة، وكانت تراها متجليّة مُشِعَّةً بالحبّ. كانت تقول: "حتّى العدل (وربما أكثر من أيّ صفة أخرى) يبدو لي محاطًا بالحبّ "212.

198. وهكذا، وُلدت تقدمة ذاتها، ليس للعدل الإلهتي، بل للحبّ الرّحيم: "إنّي أقدّم نفسي ضحيّة محرقة لحبّك الرّحيم، وأتوسّل إليك أن تذيبني باستمرار، واترُكْ أمواج الحنان غير المحدود المحصورة فيك، تفيض في نفسي، وبهذه الطّريقة أصير شهيدة لحبّك، يا إلهي "²¹³. من المهمّ أن نلاحظ أنّ الأمر ليس فقط بأن تسمح لقلب المسيح بأن ينشر جال حبّه في قلبنا، من خلال الثّقة الكاملة، بل أيضًا من خلال حياتنا، يصل هو إلى الآخرين، ويغيّر العالم: "في قلب الكنيسة أمّى،

²¹² المؤلّف نفسه، المخطوطة A، °83v؛ الأعمال المذكورة، 209؛ راجع رسالة 226 إلى الأب أدولف رولان (P. Adolfo Roulland)، 9 أيّار /مايو 1897؛ الأعمال المذكورة، 572.

²¹³ المؤلّف نفسه، تقدمة نفسي ذبيحة محرقة لحبّ الله الرّحيم، °2v-2r: الأعمال المذكورة، 943.

سأَهُون الحبّ! [...] هكذا يتحقّق حلمي"²¹⁴. الوجمان متّحدان بشكل لا ينفصل.

199. قَبِلَ الله تقدمة ذاتها. في الواقع، بعد مرور بعض الوقت أظهرت حبّها الشّديد للآخرين وأكّدت أنّ ذلك كان يأتي من قلب المسيح الممتدّ من خلالها. قالت للأخت ليوني ما يلي: "أحبّك بحنان ألف مرّة أكثر ممّا تحبّ الأخوات العاديّات بعضهنّ البعض، لأنّني أستطيع أن أحبّك بقلب عريسنا السّاوي "²¹⁵. وبعد فترة من الزّمن، قالت لموريس بيليير السّاوي "كم أريدك أن تفهم حنان قلب يسوع وما يتوقّعه منك! "كم أريدك أن تفهم حنان قلب يسوع وما يتوقّعه منك! "²¹⁶.

تقدمة كاملة وانسجام

200. أيّها الأخوات والإخوة، أقترح أن نطور هذا الشّكل من التّعويض، وهو في النّهاية منح قلب المسيح إمكانيّة جديدة لنشر لهيب حنانه المتّقد في هذا العالم. إن كان صحيحًا أنّ التّعويض هو الرّغبة في التّكفير عن الإهانات التي لحقت

²¹⁴ المؤلّف نفسه، المخطوطة B، °3v: الأعمال المذكورة، 223.

²¹⁵ المؤلّف نفسه، *الرّسالة 186، إلى ليوني (Leonie)،* 11 نيسان /أبريل 1896: *الأعال المذكورة،* 521.

²¹⁶ المؤلّف نفسه، الرّسالة 258، إلى الأب موريس بيليير، 18 تموز /يوليو (18 : 258) 270: الأعال المذكورة، 598.

بطريقة ما بالحبّ غير المخلوق، بسبب النسيان أو الإهانة، 217 فالطّريقة الأنسب هي أن يعطي حبّنا لله الفرصة لينتشر بدل تلك المرّات التي رُفِضَ أو أُنكِرَ فيها. وهذا يحدث إن ذهبنا إلى أبعد من "التّعزية" البسيطة للمسيح، التي تكلّمنا عليها في الفصل السّابق، ويصير تعويضنا أعمال محبّة أخويّة نشفي بها جراح الكنيسة والعالم. بهذه الطّريقة نقدّم طرقًا جديدة للقوة الشّافية لقلب المسيح.

201. الرّهد والآلام التي تطلبها أعال المحبّة هذه للقريب توحدنا مع آلام المسيح، وبالتألّم مع المسيح في "هذا الصّلب السّرّي الذي يتكلّم عليه الرّسول، سننال ثمار التّعويض والتّكفير الوافرة، عن أنفسنا وعن الآخرين "الله المسيح وحده يخلّص بذبيحته على الصّليب من أجلنا، وهو وحده يفدي، لأنّ "الله واحِد، والوّسيط بَين الله والنّاس واحِد، وهو إنسان، أي المسيح يسوع، الّذي جاد بِنَفْسِه فِدًى لِجَميع النّاس" (1 طيموتاوس 2، 5-6). التّعويض الذي نقدّمه هو مشاركة، نقبلها بحرّية، في حبّه الفادي وذبيحته الواحدة. إذّاك مشاركة، نقبلها بحرّية، في حبّه الفادي وذبيحته الواحدة. إذّاك نكمّل في جسدنا "ما نَقَصَ مِن شَدائِدِ المسيح في سَبيلِ

217 راجع بيوس الحادي عشر، رسالة بابويّة عامّة، *الفادي الرّحيم* - 8 أيّار /مايو 1928: *أعبال الكرسيّ الترسويّ* 172. *الرّسويّ* 172.

²¹⁸ المرجع نفسه.

جَسَدِه الَّذي هو الكَنيسة" (قولسي 1، 24)، والمسيح نفسه هو الذي يُبقى فينا آثار عطائه الكامل حبًّا لنا.

202. الآلام ترتبط غالبًا بالأنا، بنفسنا المجروحة، وتواضع قلب المسيح هو الذي يبيِّن لنا طريق التواضع. أراد الله أن يأتي إلينا فلاشى نفسه، وصار صغيرًا. العهد القديم يعلمنا ذلك من خلال رموز مختلفة تُظهر لنا إلهًا يدخل في تاريخنا الوضيع، ويسمح لشعبه بأن يرفضه. حبّه يختلط بالحياة اليوميّة لشعبه الذي أحبّه هو، وصار يستَجدِي جوابًا، كأنّه يطلب الإذن لإظهار مجده. من جهة أخرى، "ربما مرّة واحدة فقط دعانا الرّبّ يسوع بكلامه إلى قلبه. وشدّد على هذه التيات: "الوداعة والتواضع"، كأنّه يريد أن يقول إنّه بهذه الطّريقة فقط يريد أن يكسب بها الإنسان"²¹⁹. لمَّا قال المسيح: "تَنَلَمَدُوا لِي فَإِنِّي وَديعٌ مُتواضِعُ القَلْب" (متّي 11، المسيح: "تَنَلَمَدُوا لِي فَإِنِّي وَديعٌ مُتواضِعُ القَلْب" (متّي 11، نفسه"²⁰)، قال لنا "إنّه يحتاج إلى صغرنا وضَعَتِنا لكي يعبِّر عن نفسه"²⁰)، قال لنا "إنّه يحتاج إلى صغرنا وضَعَتِنا لكي يعبِّر عن نفسه"²⁰).

²¹⁹ القدّيس يوحنّا بولس النّاني، *التّعليم المسيحيّ أثناء المقابلة العامّة*، 20 حزيران/يونيو *L'Osservatore Romano* :1979، 1.

²²⁰ عظة في قداس الصباح في بيت القديسة مارتا ، 27 حزيران /يونيو 2014: 8. كونيو 2014، 8.

203. في كلّ ما قلناه، من المهمّ أن نلاحظ عدّة أوجه لا يمكن فصلها الواحد عن الآخر، لأنّ أعال المحبّة للقريب، مع كلّ ما تنظوي عليه من زهد وإنكار للدّات وآلام وجمود، تقوم بهذه المهمّة عندما تتغذّى بمحبّة المسيح نفسه. إنّه يسمح لنا بأن نحبّ كما أحبّ هو، وهكذا هو نفسه يحبّ ويخدُم من خلالنا. وإن بدا من ناحيّة أنّه يصغر ويلاشي نفسه، لأنّه أراد أن يُبيّن محبّته من خلال أعالنا، من ناحيّة أخرى، في أبسط أعال الرّحمة، يتمجّد قلبه ويُظهر كلّ عظمته. القلب البشري الذي يترك المجال لحبّ المسيح، بثقة كاملة، ويسمح له بأن يفيض ناره في حياته، يصير قادرًا على محبّة الآخرين مثل المسيح، ناره في حياته، يصير قادرًا على محبّة الآخرين مثل المسيح، ويجعل نفسه صغيرًا وقريبًا من الجميع. وهكذا يُروي المسيح عطشه وينشر مجده ولهيب حنانه المتقد فينا ومن خلالنا.

204. أخيرًا، لكي نفهم هذه العبادة بكل غناها، من الضروري أن نضيف، معتبرين ما قلناه عن بُعد الثّالوث الأقدس، أنّ التّعويض للمسيح الإنسان يُقدَّم إلى الآب من خلال عمل الرّوح القدس فينا. لذلك، فإنّ التّعويض لقلب المسيح يُقدَّم في النّهاية إلى الآب، الذي يسرُّه أن يرانا متّحدين مع المسيح عندما نقدِّم أنفسنا به ومعه وفيه.

أشعلوا العالم بالحب

205. الرّؤية المسيحيّة للحياة، فيها ما يجذب الإنسان، عندما تُعاش وتَظهَر في صورتها الكاملة: فهي ليست لجوءًا بسيطًا إلى مشاعرَ دينيّة، ولا هي أعال عبادة باهرة. أيّ عبادة هي، لو اكتفينا بعلاقة شخصيّة مع المسيح، دون أن نهتم بمساعدة الآخرين فنخفّف من آلامهم أو نساعدهم لتكون لهم حياة أفضل ؟ هل يمكن ربّها أن نرضي قلب يسوع الذي أحبّ كثيرًا إن بقيت خبرتنا الدينيّة فينا فقط، دون تأثير على حياة إخوتنا ومجتمعنا ؟ لنكن صادقين ولنقرأ كلمة الله كاملة. ولهذا السبب نفسه نقول إنّ الأمر ليس نشرًا لعمل اجتماعيّ لا معنى دينيّ له، وهذا في النّهاية أقلّ تما يريد الله أن يمنحه للإنسان. لهذا له، وهذا في النّهاية أقلّ تما يريد الله أن يمنحه للإنسان. لهذا لقلب المسيح.

206. القديس البابا يوحنا بولس الناني، بالإضافة إلى الكلام على البُعد الاجتاعيّ لعبادة قلب المسيح، قال إنّ "التعويض، هو تعاون في عمل الرّسالة من أجل خلاص العالم"²²¹. وبالطّريقة نفسها، فإنّ التكرّس لقلب المسيح "يجب أن يكون مرتبطًا بعمل الكنيسة نفسها في حقل الرّسالة، لأنّه يجيب على

²²¹ رسالة في الدكرى المئويّة لتكريس الجنس البشري لقلب يسوع الأقدس، وارسو، 11 حزيران/يونيو 1999، في الاحتفال بعيد قلب يسوع الأقدس، 2: £ حزيران/يونيو 1999، 5.

رغبة قلب يسوع في أن ينشر في العالم كلّه، من خلال أعضاء جسده، عطاءه الكامل من أجل الملكوت "²²². إذّاك من خلال المسيحيّين "تفيض المحبّة في قلوب البشر حتّى يُبنى جسد المسيح، الذي هو الكنيسة، ويُبنى أيضًا مجتمع عدل وسلام وأخوّة "²²³.

207. انتشار نار محبّة قلب المسيح يتمّ أيضًا في عمل الكنيسة في الرّسالة، التي تحمل إعلان حبّ الله الذي ظهر في المسيح. كان القدّيس منصور دي بول يعلّم هذا جيّدًا عندماكان يدعو تلاميذه إلى أن يطلبوا إلى الله "هذا القلب، هذا القلب الذي يجعلنا نذهب إلى كلّ مكان، قلب ابن الله هذا، قلب ربّنا يسوع المسيح، [...] الذي يهيّئنا لنذهب كماكان يذهب [...] ويرسلنا نحن أيضًا مثل تلاميذه، لنحمل ناره إلى كلّ مكان "كمان".

222 المرجع نفسه، 1.

²²³ رسالة إلى رئيس أساقفة ليون في مناسبة رحلة الحج إلى -Paray-le يسوع Monial (فرنسا)، في الذّكرى المئويّة لتكريس الجنس البشري لقلب يسوع الأقدس، 4 حزيران/يونيو 12 (L'Osservatore Romano بريران/يونيو 1999، 4.

²²⁴ محاضرات إلى كهنة الرّسالة، 135، 22 آب/أغسطس 1655، تكرار الصّلاة: القدّيس منصور دي بول، الأعهال، المجلّد 10، روما 2008، 237-238.

208. قال القدّيس البابا بولس السّادس، في كلمته للرّهبانيّات التي تنشر عبادة قلب يسوع الأقدس، "لا شكّ في أنّ الالتزام الرّعوي والغَيرة في الرّسالة سيتّقدان بصورة شديدة، إن تأمّل الكهنة والمؤمنون، لنشر مجد الله، في مثال المحبّة الأزليّة التي أظهرها لنا المسيح، وإن وجّموا جمودهم لجعل جميع البشر يشتركون في غنى المسيح الذي لا يُستَقصَى" 225. في نور القلب الأقدس، تصير الرّسالة مسألة محبّة، والخطر الأكبر في هذه الرّسالة هو أن نقول ونعمل أشياء كثيرة، ولكن لا ننجح بأن نحقق لقاءً حيًّا مع محبّة المسيح التي تعانق وتخلّص.

209. الرسالة، إن فُهِمَت على أنّها إشعاع محبّة قلب المسيح، تتطلّب مُرسَلِين "مشغوفين بحبّ الله"، وما زالوا أسرى المسيح، فهُم ينقلون حنمًا هذا الحبّ الذي غيّر حياتهم. لهذا، هؤلاء يؤلمهم إضاعة الوقت في مناقشة القضايا الثّانويّة أو فرض حقائق وقوانين، لأنّ همّهم الأكبر هو نقل ما يعيشونه، وخاصّة، أن يتمكّن الآخرون من أن يدركوا صلاح وجال الله المُحِبّ من خلال جمودهم الضّئيلة. أليس هذا ما يحدث مع كلّ مُحِبّ؟ يجدر بنا أن ننظر مثلًا في كلمات دانتي أليغييري، الواقع في الحبّ، وقد أراد أن يعبّر عن هذا المنطق:

"عندما أفكِّر في قيمة الحبّ أشعر بالحتِّ في نفسي عذبًا إلى حدِّ

²²⁵ الرّسالة Diserti interpretes، 25 أيّار /مايو 1965، 4.

أنِّي ولو فقدت الجرأة في نفسي فإنّ نَبَراتي تجعل الجميع عاشقين "²²⁶.

210. التكلّم على المسيح، بالشّهادة أو بالكلام، حتى لا يضطّر الآخرون إلى بذل جهد كبير لمحبّته، هذه هي أسمى رغبة لمرسل إلى التفوس. في ديناميكيّة الحبّ لا يوجد اقتناص أو بحث عن أتباع، فكلام المحبّ لا يزعج ولا يفرض ولا يعرف الأكراه، بل يحمل الآخرين على السّؤال: كيف يمكن أن يكون مثل هذا الحبّ. ومع أقصى درجات الاحترام لحريّة الآخر وكرامته، يأمل المحبّ ببساطة أن يُسمح له بأن يروي قصّة الصّداقة التي تملأ حياته.

211. يَطلب منك المسيح، دون أن تهمل الفطنة والاحترام، ألّا تخجل من الاعتراف بصداقتك معه. يَطلب منك أن تكون لديك الشّجاعة على القول للآخرين إنّه حسنٌ لك أن تلتقي به: "مَن شَهِدَ لي أَمامَ النّاس، أَشهَدُ لَه أَمامَ أَي الَّذي في السّموات" (متّى 10، 32). بالنسبة للقلب الحجّ، ليس هذا واجبًا، بل هو ضرورة يصعب عدم الاستجابة لها: "الوّيلُ لي إن لم أُبشِر!" (1 قورنتس 9، 16). "كانَ في قَلْبي كنارٍ مُحرِقة قد حُبِسَت في عِظامي فأَجَهَدَني احتيالُها ولَم أَقْوَ على ذلك" (ارميا 20، 9).

²²⁶ الحياة الجديدة XIX، 5-6.

في شركة الخدمة

212. يجب ألّا نفكر في رسالة التعريف بالمسيح هذه، أنّها مجرد شيء بيني وبينه. بل يجب أن نعيشها في شركة ووَحدة مع جاعتنا المؤمنة ومع الكنيسة. إن أبعدنا أنفسنا عن الجماعة، فإنّنا نُبعد أنفسنا عن يسوع. وإن نسيناها ولم نهتم للجاعة، فإنّ صداقتنا مع يسوع تبرد. يجب ألّا ننسَ هذا السّر أبدًا. محبّة الإخوة في جاعتنا المؤمنة - الرّهبائيّة، والرّعويّة، والأبرشيّة - هي بمثابة الوقود الذي يغذّي صداقتنا مع يسوع. طريقة، أو أحيانًا الطّريقة الوحيدة الممكنة، للتعبير عن محبّة طريقة، أو أحيانًا الطّريقة الوحيدة الممكنة، للتعبير عن محبّة يسوع المسيح للآخرين. قال الرّبّ يسوع نفسه: "إذا أحَبَّ يسوع أنّكُم تَلاميذي" (يوحنّا 13).

213. إنّها المحبّة التي تصير خدمة للجاعة. ولا أتعب من التذكير بأنّ يسوع قال ذلك بوضوح كبير: "كُلَّا صَنعتُم شَيئًا مِن ذلك لِواحِدٍ مِن إِخوَتي هؤُلاءِ الصِّغار، فلي قد صَنعتُموه" (متّى 25، 40). فهو يوصيك أن تجده أيضًا في كلّ أخ وأخت، وخاصة في الذين هم أكثرهم فقرًا، والمحتقرين والمتروكين. يا له من لقاء جميل!

214. لذلك، إن كرسنا أنفسنا لمساعدة أحد، فهذا لا يعني أثنا نسى يسوع. بل بالعكس، سنجده بطريقة أخرى. وعندما نحاول أن نُنهِض ونَشفي أحدًا، فيسوع يكون هناك بجانبنا. يجب أن نتذكّر أنّ الرّبَّ يسوع لمَّا أرسل تلاميذه كان "يَعمَلُ مَعَهم" (مرقس 16، 20). إنّه هناك، يعمل، ويكافح ويصنع الخير معنا. بطريقة خفيّة، تظهر محبّته في خدمتنا، وهو نفسه الذي يتكلّم إلى العالم بهذه اللغة التي لا كلام فيها أحيانًا.

215. يسوع يرسلك لتنشر الخير ويدفعك من داخل نفسك. لهذا يدعوك إلى دعوة فيها خدمة: لتصنع الخير، سواء كنت طبيبًا، أم أمًّا، أم معلّمًا، أم كاهنّا. أينها كنت، يمكنك أن تسمع أنّه يدعوك ويرسلك لتحمل هذه الرّسالة على الأرض. هو نفسه يقول لنا: "فهاء نذا أرسِلُم" (لوقا 10، 3). وهذا جزء من الصّداقة معه. لذلك، لكي تنضج هذه الصّداقة، يجب أن تسمح له بأن يرسلك لئيّم رسالة في هذا العالم، بثقة، وسخاء، وحرّية، ودون مخاوف. إن انعلقت في راحتك، لن تجد الأمان، ستَظهر دامًّا المخاوف والحزن والقلق. الذي لا يتم رسالته على هذه الأرض لا يمكن أن يكون سعيدًا، بل يُصاب بالإحباط. هذه الأرض لا يمكن أن يكون سعيدًا، بل يُصاب بالإحباط. ولا تنسَ أنّه يرافقك. فهو لا يلقي بك في الهاوية ولا يتركك لقواك. هو يدفعك ويرافقك. وعَد بذلك وهو يفي بوعده: القواك. هو يدفعك ويرافقك. وعَد بذلك وهو يفي بوعده: "هاءنذا معَكم طَوالَ الأيَّام" (متّي 28، 20).

216. يجب أن تكون مرسلًا، مُرسَلة، بطريقة ما، كماكان رسل يسوع والتلاميذ الأوائل، الذين ذهبوا ليُعلنوا محبّة الله، ذهبوا ليعلنوا أنّ المسيح حيّ ويستحقّ أن نعرفه. عاشت القدّيسة تريزا الطفل يسوع هذه الخبرة كعنصر ضروريّ من تقدمة ذاتها للحبّ الرّحيم: "أردت أن أسقي حبيبي، وأنا نفسي شعرت بعطش التفوس يُحرِقُني "²²⁷. وهذه أيضًا هي رسالتك. كلّ واحد يتمّ رسالته بطريقته الخاصة، انظر كيف يمكنك أن تكون مُرسَلًا، مُرسَلة. فيسوع يستحقّ ذلك. إن كانت لديك الشّجاعة، هو، من جمته، ينيرك، ويرافقك ويقويك، الشّجاعة، هو، من جمته، ينيرك، ويرافقك ويقويك، وستعيش خبرة ثمينة تُفيدك كثيرًا. لا يهمّ إن استطعت أن ترى النّتائج، المهمّ أن تترك الرّبّ يسوع يعمل في سرّ القلوب، لكن لا تتوقف عن اختبار الفرح في سَعيِك للتّعريف بمحبّة المسيح للآخرين.

²²⁷ المخطوطة A، °45v؛ الأعهال الكاملة، روما 1997، 146.

الخاتمة

217. ما تعبِّر عنه هذه الوثيقة يسمح لنا بأن نكتشف أنّ ما ورد في الرّسائل الاجتماعيّة "كُنْ مُسَبَّحًا" (Laudato si) و "كلّنا إخوة" (Fratelli tutti) ليس غريبًا عن لقائنا بمحبّة يسوع المسيح، لأنّنا إذا ارتوينا من هذه المحبّة صِرْنا قادرين على نسج روابط الأخوّة، والاعتراف بكرامة كلّ إنسان، والاعتناء معًا ببيتنا المشترك.

218. اليوم، كلّ شيء يُشترى ويُدفع ثمنه، ويبدو أنّ الشّعور بالكرامة يعتمد على الأشياء التي نحصل عليها بسلطة المال. نحن مدفوعون فقط إلى أن نكدّس المال ونستهلك الأشياء ونلهو، ونحن أسرى نظام محين لا يسمح لنا بالتظر إلى ما هو أبعد من احتياجاتنا المباشرة والمسكينة. محبّة المسيح خارج هذه الآلية الفاسدة، وهو وحده يستطيع أن يحررنا من هذه الحُمّى التي لم يعد فيها مكان للمحبّة المجانية. إنّه قادر على إعطاء قلب لهذه الأرض وأن يخلق من جديد الحبّ حيثما نعتقد أنّ القدرة على الحبّ قد ماتت إلى الأبد.

219. الكنيسة أيضًا تحتاج إلى هذا، حتى لا تستبدل محبّة المسيح بهيكليّات عفا عليها الزّمن، وهوس أزمنة غابرة، وعبادة عقليّاتنا الخاصّة، وكل أنواع التّعصّب، وينتهي بنا الأمر إلى إحلال كلّ ذلك محلّ محبّة الله المجانيّة التي تحرّر وتحبي وتُفرح

القلب وتُغذّي الجماعات. من الجرح في جنب المسيح ما زال النهر يتدفَّق ولا ينضب أبدًا، ولا يزول، ويقدِّم نفسه دامًّا من جديد لمن يريد أن يحبّ. حبّه فقط يجعل البشريّة الجديدة مكنة.

220. أصلّي إلى الرّب يسوع لكي تجري من قلبه الأقدس أنهارٌ من المياه الحيّة لنا جميعًا لشفاء الجراح التي نسبّبُها لأنفسنا، ولتقوية قدرتنا على الحبّ والخدمة، ولتدفعنا إلى أن نتعلَّم السّير معًا نحو عالم عادل ومتضامن وأخوّي. وهذا إلى أن نحتفل معًا بسعادة بوليمة الملكوت السّياوي. هناك المسيح القاعم من بين الأموات، الذي سيوفّق بين كلّ اختلافاتنا بالنور الذي يفيض باستمرار من قلبه المفتوح. ليكن دامًا مباركًا.

صَدَرَ فِي روما، قرب ضريح القدّيس بطرس، في 24 تشرين الأوّل/أكتوبر 2024، في السَّنة الثّانية عشرة من حبريّتي.

Franciscus

الفهرس

3	لقد أحَبَّنالقد أحَبَّنا
	·
5	الفصل الأوّل أهمّيّة القلب
5	ماذا نعني عندما نقول "القلب"؟
	العودة إلى القلب
	القلب الذي يوحِّد ما تكسَّر
	النّار
	ي يمكن للعالم أن يتغيَّر انطلاقًا من القلب
	. 0 - 3, . 0 0 .
25	الفصل الثّاني أعمال وكلمات محبّة
25	أعال تُظُهر القلب
	نظرة يسوع
	الكلمات
	•
. كثيرًا 33	الفصل الثّالث هذا هو القلب الذي أحبّ
	السّجود للمسيح
	تكريم صورته
	الحبّ الحِسِّي
	الحبّ الثّلاثيّ
46	آفاق ثالوثيّة
	تعليمات السّلطة الكنسيّة الأخيرة
	تحليل متعمّق والأوضاع الرّاهنة
٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	تحليل متعمق وأموضاع الراحية

الفصل الرّابع الحبّ الذي يعطيك لتشر
عطش إلى محبّة الله
أصداء الكلمة في التّاريخ
انتشار عبادة قلب يسوع
القدّيس فرنسيس دي سالِس
إعلان حبّ جديد
القدّيس کْلُود دي لا کولومبيير
القديس شارل دي فوكو والقديسة
يسوع محبّة
القدّيسة تريزا الطّفل يسوع
أصداء في الرّهبنة اليسوعيّة
تدفّق غزّير من الحياة الدّاخليّة
العبادة في التّعزية
معه على الصِّليب
أسباب القلبأ
التّدم
نعزّيه فنجد عزاءنا
الفصل الخامس الحبّ بالحبّ
شكوي وطلب
امتداد لحبّه في الإخوة
بعض الأصداء في تاريخ الرّوحانيّة .

114	ينبوع للآخرين
116	أخُوّة وتصوّف
ض121	التّعويض: البناء على الأنقار
ض لقلب المسيح	المعنى الاجتماعتي للتعويد
124	تعويض القلوب المجروح
125	جهال طَلبِ المغفرة
سيح	التّعويض: امتداد لقلب الم
129	
132	تقدمة كاملة وانسجام
136	أشعلوا العالم بالحبّ
	•
143	الحاتمة